الرابطة

السنة ٥٦ العدد ٦٤٣ شعبان ١٤٤١هـ - إبريل ٢٠٢٠م

G20
SAUDI ARABIA 2020

الرابطة تنوه بتعهد قمة «العشرين» بالتصدي لجائحة «كورونا»

الرابطة - شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٦ العدد ٦٤٣ شعبان ١٤٤١هـ - إبريل ٢٠٢٠م

جائحة كورونا: بعض الدروس والعبر

عبر التاريخ الإنسـاني على هـذه الأرض، أحداثٌ ذات بُعدٍ تاريخي؛ أحداث نادرة حملت السراء مثل اكتشـاف النار وترويض الخيل وزراعة أول حبة قمح، واختراع العجلة والموتـور والهاتف الذكي. وأحداث أخرى جلبت الضراء مثل الحروب والكوارث الطبيعية المدمرة. ولسوف تُسجل جائحة كورونا المستجد في تاريخ الإنسانية واحدة من تلك الحوادث ذات المعنى العميق والأثر الجليل.

ينطوي هذا الحدث الضخم عـلى الكثير من الدروس والعبر التي ينبغي التوقف عندها للتفكر والاعتبار.

أول هذه الـدروس ما ثبت من عجز الإنسـان وقلة حيلته أمام مخلوق ضعيف أشاع كل هذه البلايا والنكبات التي حلت بجميع البشر دون اسـتثناء. وهذا يحدو بهذا الإنسان للعودة إلى الله عز وجل والاحتماء به، وعلى التّضرع وكثرة الاستغفار، فما نزلت بلية إلا بذنب ولا رفعت إلا بتوبة.

إن ما يحسبه إنسان هذا العصر مصدر قوته وجبروته، قد يكون هو نفسـه سـبب ضعفه وهلكته، فقد رأينا مع بدايات الألفية الثالثة، صورًا إيجابية بارتباط أمشاج العالم بعضها ببعض على نحو لم يشهد له التاريخ مثيلاً، فأصبح الناس موصولين بوسائل حطمت الجدران التي تفصل بينهم. بدا كوكبنا مترابطًا ومتفاعلاً ومندمجًا في نواحٍ كثيرة، منهـا التعاون الإقليمي من خلال تدفق رؤوس الأموال، وتدفق العمالة، والرحلات الهادفة إلى السـياحة والتعاملات التجارية.

هذه العولمة الكاسحة، كانت هي نفسها أيسر طريق لتفشي فيروس كورونا على النحو الذي نراه، وكما يُقال: من مأمنه يؤتَى الحذِر.

ومن الدروس المؤلمة إدراك العالم وجود اختلالات عميقة في نظمه وقيمه وأولوياته. فهذه الجائحة المسـتجدة ليسـت مجرد أزمة صحية عابرة، بل هي أزمة في المعنى والوجود.

لقد اسـتيقظ العالم على واقع صادم بعدما أعلنت حالة الطوارئ وحظر التجول وتوجيه الناس للبقاء بالداخل. آلاف البشر لا مأوى لهم في كل مكان... مشردون يفتقرون إلى أبسـط مقومات الحياة مما ألجأ بعض السلطات إلى إيجاد دور إيواء مؤقتة وشراء منازل نقالة واستئجار غرف في الفنادق.

وملايين البشر ممن تقـوم حياتهم على الدخل اليومي، لم يعودوا قادريـن على العيش. بعض المجتمعات كانـت لديها القدرة على العناية بهذه الفئات، بإعفائهـم من فواتير بعض الخدمات مثل الماء والكهرباء وتوزيع الغذاء على المحتاجين. أما أغلب المجتمعات الفقيرة فقد وقفت عاجزة أمـام العالقين في المطارات واللاجئين وأطفال الشمس.

إن الخلل الأكبر في الأولويات، هو اختلال الميزانيات المالية الموجهة للصحة والعـلاج والبحث العلمي، وضعـف ميزانيات الحماية الاجتماعية حتى في أكثر الدول تقدمًا.

إن مقارنة يسيرة بين الموارد الموجهة للسلاح والشؤون العسكرية وبين البحث العلمي، توضح حجم الخلل الكبير في ترتيب الأولويات.

ومن أصعب الدروس والعبر مـا أبرزته الجائحة من عدم اليقين ومحدوديـة المعرفة حول طبيعة المرض وكيفية مواجهته، مع أن المرض معـروف مع ما يقال من تغير في خواصه. وأمام الجائحة المستجدة وغموضها أصبح الناس أسرى الشائعات بل الخرافات، والتفسيرات غير المنطقية.

لم تكن الدروس كلها قاسـية، فقد ظهر بعـد الحجر المنزلي أن لممارسة العمل عن بعد، والتعليم عن بعد إيجابيات ومزايا. وتقييم التجربة سوف يتيح الاسـتفادة مما ظهر من إيجابيات في توفير الجهد والوقت. وربما تحققت مسـتقبلاً نتائج في مصلحة العمل والعاملين من المرونة وتوفير تكاليف الانتقال ومستلزمات المكاتب، وتوفير ما يبذل في مراقبة العاملين دخولاً وانصرافًا والانشـغال بشؤون الإجازات والحضور والغياب.

وقد نبَّه هذا المرض ومصاعـب مواجهته البشر على هذه الأرض إلى مصيرهم المشـترك، وأن الأوبئة ومشكلات التلوث والإشعاعات النوويـة لا تعرف الحدود، ولا تفرق بـين غني أو فقير، ولا بين عظيم أو حقير، وذلك ما يفرض عـلى الجميع التكاتف وتكامل الجهود في درء المخاطر.

وهذا هو ما أبرزته الكلمة الضافيـة التي ألقاها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله في قمة العشرين الافتراضية.

وفيمـا أوضحه – حفظه الله – تثمين للإجـراءات الفعالة التي اتخذتها الدول، وتطمين بأننا سـنتمكن معاً – بعون الله – من تجاوز هذه الأزمة والمضي قدماً نحو مسـتقبل ينعم فيه الجميع بالرخاء والصحة والازدهار.

بسم الله الرحمن الرحيم

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للاتصال والإعلام

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

ياسر الغامدي

المراسلات:

مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني:

rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

المحتويات

الرابطة تنوه بتعهد قمة «العشرين» بالتصدي لجائحة «كورونا» 4

مساعدات طبية من رابطة العالم الإسلامي إلى باكستان لمواجهة كورونا 6

مساهمة المؤسسات التابعة للمواطنين من المسلمين في الواجب الوطني 12

العدد: ٦٤٣
شعبان ١٤٤١ هـ - إبريل ٢٠٢٠ م

غلاف العدد

تعليق الوجود والصلاة في ساحات الحرمين الشريفين

مكة المكرمة

صرح المتحدث الرسمي باسم الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي هاني بن حسني حيدر بأن الرئاسة والجهات الأمنية والصحية قررت تعليق الوجود والصلوات في الساحات الخارجية للمسجد الحرام والمسجد النبوي، وذلك ضمن الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية لمنع انتشار فيروس كورونا المستجد.

وأكد المتحدث الرسمي أن الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي تهيب بالجميع التعاون مع الجهات المسؤولة جميعها لإنجاح الإجراءات الاحترازية المتخذة، للحفاظ على صحة وسلامة قاصدي المسجد الحرام والمسجد النبوي، والعمل على الحد من انتشار عدوى فيروس كورونا (كوفيد - ١٩) بين المصلين.

وأضاف أن الرئاسة وبالتعاون مع الجهات الأمنية والصحية تقوم بالعديد من الإجراءات الاحترازية وفق أرقى المعايير لتحقيق التطلعات الكريمة بمنع انتشار العدوى، وتهيئة الحرمين الشريفين لأداء الصلاة في بيئة آمنة وصحية مطمئنة، مؤكداً أن وعي وتعاون قاصدي الحرمين الشريفين سيسهم بإذن الله في نجاح التدابير الاحترازية المؤقتة، داعياً الجميع للتعاون مع المسؤولين والاستجابة للتعليمات والإجراءات الضرورية.

22

رابطة العالم الإسلامي تدين الهجمات الإرهابية في نيجيريا وتشتاد

47

المسلمون في الغرب: حتمية الاندماج وهواجس الهوية

الرابطة تنوه بتعهد قمة «العشرين» بالتصدي لجائحة «كورونا»

د. العيسى: دعوة خادم الحرمين تؤكد حرص المملكة على النهوض بمسؤولياتها الدولية

مكة المكرمة:

أوضح معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس مجلس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى أن قمة مجموعة العشرين الافتراضية الاستثنائية التي دعا إليها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود ـ حفظه الله ـ لبحث جائحة فيروس كورونا المستجد وتداعياتها، تؤكد حرص المملكة العربية السعودية على النهوض بمسؤولياتها الدولية، حيث بادرت بالدعوة لعقد تلك القمة الاستثنائية وبنجاح كبير في ترتيب اجتماعها الافتراضي من أجل مناقشة موضوع مهم يتعلق بتلك الجائحة العالمية، وما تُشكله من خطر كبير على العالم بأسره، بدءاً بتهديد الأرواح، حيث حصدت عدداً منها في انتشار سريع ومطرد، وانتهاء بالاقتصاد العالمي والتأثير سلباً على نموه والمهدد بانخفاضه إلى النصف في حال استمرار انتشار الفيروس.

وأضـــاف معاليه أن الكلمة الضافيـــة التي ألقاها خـــادم الحرمين الشريفـــين في افتتـــاح القمة ألقت بظلالها على عدد من المحـــاور المهمة؛ حيث أكد خادم الحرمين الشريفين - حفظـــه الله – على أن تأثير هذه الجائحة قد توسّع ليشمل الاقتصادات والأسواق المالية والتجارة وسلاسل الإمداد العالمية، مما تسبب في عرقلة عجلة التنمية والنمو، والتأثير ســـلباً على المكاسب التي تحققت في الأعوام الماضية، وأن هذه الأزمة الإنســـانية تتطلب اســـتجابة عالمية، وأن العالـــم يعقد آماله على قادة المجموعة للتكاتف والعمل معـــاً لمواجهتها، وما أوضحه ـ أيده الله ـ من مبـــادرة المملكة بالعمل مع الدول الشـــقيقة والصديقة والمنظمـــات المتخصصة لاتخاذ كل الإجراءات اللازمة لاحتواء انتشـــار فيروس كورونا المســـتجد، وضمان ســـلامة الأفراد مع تثمين الإجـــراءات الفعالة التي اتخذتها الدول في هذا الصدد، والدعـــم الكامل لمنظمة الصحة العالمية في تنســـيقها للجهود الرامية إلى مكافحة هـــذه الجائحة، وتأكيده ـ حفظه الله ـ على مجموعـــة العشرين بأن تأخذ على عاتقها مسؤولية تعزيز التعاون في تمويل أعمال البحث والتطوير ســـعياً للتوصل إلى لقاح لفيروس كورونا، وضمان توفر الإمـــدادات والمعدات الطبية اللازمة، مع أهمية تقوية إطار الجاهزية العالمية لمكافحة الأمراض المعدية التي قد تتفشى مستقبلاً، مع أهمية ما شدد عليه خادم الحرمين الشريفين من ضرورة استعادة التدفق الطبيعي للسلع والخدمات في أسرع وقت ممكن، حيث أوضح ـ أيده الله ـ أنه يتوجب على مجموعة العشرين إرسال إشارة لاستعادة الثقة في الاقتصاد العالمي، عاقداً الأمل الكبير من خلال تحفيز قدرة مجموعة العشرين على التعاون المشترك على تجاوز هذه الأزمة.

وتابع معاليه بأن المملكة العربية الســـعودية تؤكد من خلال هذه المبادرة السريعة وبحجمها الدولي الكبير والمؤثر على التعاطي الإيجابي الفاعل في إطار محورية دورها العالمي، واضطلاعها بكامل مســـؤولياتها على الأصعدة كافة، ولا سيما وهي تترأس مجموعة العشرين.

قدّمت مستلزمات صحية ووقائية إلى حكومة إسلام آباد

مساعدات طبية من رابطة العالم الإسلامي إلى باكستان لمواجهة كورونا

إسلام آباد:

بعثت رابطة العالم الإسلامي بشحنات من المستلزمات الطبية إلى جمهورية باكستان الإسلامية، لمساعدتها في مواجهة فيروس كورونا (أوكفيد ١٩).

وكان المكتب الإقليمي لرابطة العالم الإسلامي في إسلام آباد قد سلّم شحنات من المستلزمات الطبية المتنوعة للحكومة الباكستانية، تشمل معدات صحية ووقائية للحد من انتشار المرض.

والتقى معالي وزير الشؤون الدينية الباكستاني بسعادة سفير خادم الحرمين الشريفين في باكستان في مقر المكتب الإقليمي للرابطة في إسلام آباد، حيث جرى تسليم الشحنات بحضور المدير العام للبرنامج الوطني الباكستاني لمكافحة فيروس كورونا.

وفي تعليقه بهذه المناسبة، عبّر معالي الوزير الدكتور نور الحق قادري عن تقدير باكستان الكبير لهذه الخطوة، مشدداً على الدور المحوري الذي تتولاه رابطة

العالم الإسلامي في مساعدة الشعوب وخدمة الإنسانية أينما كانت.

من جهته أكد سعادة سفير خادم الحرمين الشريفين لدى باكستان، الأستاذ نواف بن سعيد المالكي، أن الرابطة كانت سباقة دائماً في تقديم المساعدات لجميع المحتاجين، وما مبادرتها هذه إلا جزءٌ من نشاطاتها التي تنبع من مبادئ راسخة عمادها الخير والحرص على مصلحة البشرية ورعاية شؤونها.

أما المدير العام للبرنامج الوطني الباكستاني لمكافحة فيروس كورونا، الدكتور راجا أمجد محمود، فتقدّم بوافر الشكر والعرفان للرابطة والقائمين عليها، لسرعة تفاعلهم مع المستجدات الدولية وحرصهم على نشر الوعي الصحي لمكافحة المرض الذي يستشري في العالم.

وحول المساعدات قال المدير الإقليمي لرابطة العالم الإسلامي في باكستان، سعد بن مسعود الحارثي: إنها مجموعة متنوعة تتضمن أقنعة وكمامات واقية وأجهزة كشف ومعقمات، وكذلك حقائب وقائية، بالإضافة إلى إطلاق حملة إعلانية كبيرة على القنوات التلفزيونية

❖ **الوزير قادري يعبر عن تقدير باكستان لهذه الخطوة في خدمة الإنسانية**

❖ **مساعدات الرابطة لباكستان شملت أقنعة وكمامات وأجهزة كشف ومعقمات وحقائب وقائية**

والصحف ومواقع التواصل الاجتماعي تهدف إلى التوعية والإرشاد بطرق الوقاية من الفيروس وتجنّب الإصابة به.

وتابع قائلاً: إن هذه النشاطات جاءت بتوجيه من معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، الذي يحرص على متابعة الأعمال المرتبطة بالعمل الإنساني في الرابطة كافة، ويُشرف على تسليم المساعدات ووصولها لمستحقيها.

هل بإمكان قوة الدعاء وحدها

أن توقف جائحة مثل فيروس كورونا المستجد؟ حتى النبي كان يرى خلاف ذلك

مقال للبروفيسور كريق كونسيدين، العالم، والمتحدث العالمي والإعلامي، والأستاذ بقسم الاجتماع (بجامعة رايس)، وهو أيضاً مؤلف كتاب: «إنسانية محمد: وجهة نظر مسيحي (مطبعة بلو دوم، ٢٠٢٠)، وكتاب الإسلام في أمريكا: بحث المشكلات (ABC-CLIO ٢٠١٩) من بين موضوعات أخرى.

ترجمة: د. محمد الخضر سالم
المصدر: مجلة نيوزويك الأمريكية ٢٧ مارس ٢٠٢٠م

تضطر جائحة فيروس كورونا المستجد الحكومات ووكالات ومصادر الأنباء لتقديم الإرشادات والنصائح المفيدة لسكان العالم، حيث إن المرض هو في الواقع وباءٌ عالمي. وتبقى هناك حاجة ماسة لمحترفي الرعاية الصحية، وكذلك للعلماء الذين يدرسون انتقال وتأثير الأمراض الوبائية.

يقول الخبراء أمثال اختصاصي المناعة الدكتور أنطوني فوسي والخبير الطبي الدكتور سانجاي جوبتا إن النظافة الشخصية الجيدة والحجر الصحي، أو تجربة عزل المصاب عن الآخرين، هي من أكثر الطرق فعالية لاحتواء فيروس كورونا-١٩ المستجد، أملاً في منع انتشار الأمراض المعدية.

هل تعلم من الذي اقترح النظافة الشخصية الجيدة والحجر الصحي عند وقوع جائحة؟

إنه محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الإسلام، وذلك قبل ١٤٠٠ عام مضى.

ففي الوقت الذي لم يكن فيه النبي بأي حال من الأحوال خبيرًا «تقليديًا» فيما يتعلق بالأمراض الوبائية الفتاكة، فقد استطاع محمد أن يقدم نصائح مفيدة لمنع ومكافحة تطور وباء مثل فيروس كورونا المستجد.

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها». وقال أيضًا: «لا يوردن ممرض على مصح».

كذلك حث محمد (صلى الله عليه وسلم) بشدة الناس على الالتزام بممارسة النظافة الشخصية الصحية الجيدة التي تجعل الناس في مأمن من العدوى. تأمل أحاديث وأقوال النبي محمد صلى الله عليه وسلم التالية:

« النظافة من الإيمان».

«إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يديه قبل أن يدخلهما في الإناء ثلاثًا، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده».

«بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده».

ثم ماذا قال النبي إذا أصيب أحد بمرض؟ ما هو الإرشاد الذي قدمه النبي لأصحابه من الذين كانوا يعانون مرضًا من الأمراض؟

لقد كان صلى الله عليه وسلم يحث الناس دائماً على طلب العلاج والتداوي. إذ قال: «يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً إلا داءً واحدًا – الهرم». فلعل أهم شيء هو أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف كيف يوازن بين الدين والعقل «أي الأسباب».

خلال الأسابيع الأخيرة ذهب البعض بعيدًا للاقتراح بأن الدعاء والصلاة هما أفضل وسيلة للحيلولة بين الناس والإصابة بمرض فيروس كورونا المستجد وذلك بدلاً عن الالتزام بالقواعد الأساسية للعزل والحجر الصحي. كيف تجاوب النبي محمد مع فكرة أن الدعاء هو الدواء والعلاج الرئيس للتعافي من الوباء؟ (استدراك من المترجم: طلب الدعاء لا ينفي ولا يتعارض مع طلب الوقاية أو الدواء).

تأمل الرواية التالية التي أوردها الإمام الترمذي في القرن التاسع الهجري: «لاحظ النبي (صلى الله عليه وسلم) في أحد الأيام أن بدوياً قد ترك ناقته دون أن يعقلها، فسأله، لِمَاذا لمْ تعقل ناقتك؟ فأجابه البدوي قائلاً: إني توكلت على الله، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) اعقلها أولاً ثم توكل على الله» (هكذا في النص المترجم. أما نص الحديث نفسه في الترمذي فهو: قال رجل يا رسول الله أعقلُها وأتوكل أم أطلقها وأتوكل قال: اعقلها وتوكل).

حث محمد (صلى الله عليه وسلم) الناس بأن يلتمسوا الإرشاد في دينهم، غير أنه أيضاً كان يأمل أن يتخذوا التدابير الاحترازية الأساسية للاستقرار والسلامة والرفاهية للكل.

بعبارة أخرى، كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يأمل من الناس أن يستخدموا المنطق والتفكير والفطرة السليمة.

سلوا اللّٰه العفو والعافية

بقلم: د. محمد تاج العروسي

العافية نعمة كبيرة ومطلـــب عظيم للبشرية كلها، وهي مبعث الطمأنينة والراحة النفسية، وبها يتم قوام الحياة، ولذا عدها الإسلام من أجل نعم الله على الإنسان بعد الإيمان واليقين. ولا يعرف قدرها إلا من ذاق مرارة الأوجاع والأسقام. وفي الحديث «من أصبحَ منكم آمناً في سربه، مُعافىً في جسده، عندهُ قُوتُ يومه، فكأنّما حِيزتْ لَهُ الدّنيا بحذافيرها». وعن الإمام أبي يوسف: «رؤوس النعم ثلاثة: فأولّها نِعمة الإســـلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية نعمة العافيـــة التي لا تتمُ الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا بها».

الحديث عن نعمة العافية أصبح هو الشغل الشاغل للجميع في ظل تفشي فـــيروس كورونا في العالم؛ حيث انتشر بسرعة في أرجاء العالم، وأدى إلى تعطل الســـفر والتنقلات بين المدن، وتوقف الرحلات الدولية، وإغلاق الحـــدود البرية بـــين الدول إلا للـــضرورة القصوى. ويتداول الناس عن إمكانية التوصل إلى العلاج في الوقت القريب، مع الأخذ بأســـباب الصحة وكيفية المحافظة عليها. وتتنافس الـــشركات الكبرى للتوصل إلى الدواء، وتسجيل براءة الاختراع باسمها.

ويرى الكثيرون ضرورة التضرع إلى الله، والإكثار من الأذكار النبوية مع أخذ الحيطة والبعد عن أسباب انتشار المرض محافظة على الصحة.

وهذا هو المطلب الشرعـــي، والحكمة تقتضي ذلك، فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر في دعائه سؤال العفو والعافية من الله في كل الأوقات، ويرشـــد أصحابه لطلبها صباحًا ومســـاءً في الأدعية الواردة عنه. وهنـــاك أحاديث رويت عنه لفظًا ومعنًى من طرق متعـــددة تصل إلى خمســـين طريقاً في هذا المعنى، منها قوله صلى الله عليه وســـلم: «ما سُئل الله شيئاً أحب إليه من أن يُسأل العافية»، وقوله: «سلوا الله العفو والعافية، فـــإن أحدكم لم يعطَ بعد اليقين خيرًا من العافية». يقول المباركفوري: فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير. (تحفة الأحوذي ٣٤٨/٩)

فالعافية: كلمة جامعة في تأمـــين اللَّه تعالى للعبد، ودِفَاع كلِّ نقمة وشرٍّ وبلاءٍ عنه في الدنيا والآخرة، ولذا يرى كَثير من العلماء أن الدعاء بالعافية من أجلّ المطالب، وأهـــم المقاصد التي يتمنّاها كل عبد في دنياه، وآخرته، ففيها سؤال اللَّه تبارك وتعالى السلامة، والوقاية من كل

الشرور، بـــكل أنواعها الظاهرة والباطنة، فهي مبتغى كل الخلائق في هذه المعمورة.

وفي الحديث عن ابْنَ عُمَرَ لم يكن رســـول الله صلى الله عليه وســـلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح، «اللهم إني أســـألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شـــمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي». ومن دعائه كذلك «اللَّهُمَ إني أصبحتُ منكَ في نعمة وعافية وســـتر فأتمّ نعمتك عليّ وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة».

يقول ابن القيم رحمه الله: وفي حديث آخر «ســـلوا الله العَفْوَ والعَافيةَ والمعافَاةَ» وهذا الســـؤال يتضمن: العفـــو عما مـــضى، والعافية في الحـــال، والمعافاة في المســـتقبل بدوام العافية واستمرارها. وكان عبد الأعلى التيمي يقول: «أكثروا من ســـؤال اللـــه العافية؛ فإن المبتلى ـ وإن اشـــتد بلاؤه ـ ليس بأحـــق بالدعاء من المعافـــى الذي لا يأمن البلاء، وما المبتلَوْنَ اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلَون بعدَ اليوم إلا من أهلِ العافية اليومَ، ولـــو كان البلاءُ يجر إلى خيرٍ ما كنا من رجال البـــلاء، إنه رُبَّ بلاءٍ قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخرة، فمـــا يؤمن من أطال المقام على معصية الله أن يكون قـــد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهده في الدنيا ويفضحه في الآخـــرة. ثم يقول بعد ذلك: الحمد لله الذي إن نَعُـــدَّ نِعمه لا نحصيها، وإن نَدْأَبَ له عملاً لا نجزيها، وإن نُعمَّر فيهـــا لا نبليها». ويقول بعض الصالحين: النعمة إذا شُـــكِرَت قَرَّتْ، وإذا كُفِرَتْ فَرَّتْ، والصحة والعافية من أعظم نعم الله تعالى على عباده، ولكن الناس يغفلون عنها في غالب حياتهم. وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ». ويقول بعض الصالحين: إن الســـعادة التامة، والهناءة الكاملـــة لا تكونان إلا بالصّحة والعافية، ولا يمكن للمال أن يحل محلها، ولا أن يأتي بها إن غابت، بينما الصّحة تأتي بالمال إن كان صاحبها موفقًا نشيطًا.

يقول بشار بن برد:

إنِّي وإن كانَ جمعُ المالِ يعجبُني
لا يعدلُ المالُ عندي صحَّةَ الجسدِ
في المالِ زينٌ وفي الأولادِ مكرمةٌ
والسقمُ يُنسيك ذكرَ المالِ والولدِ

مساهمة المؤسسات التابعة للمواطنين من المسلمين في الواجب الوطني

بقلم: الأستاذ حسين الداودي
رئيس المجلس الإسكندنافي للعلاقات

الأزمة التي يعيشـــها بلدنا السويد تُحتم على الجميع القيـــام بدوره كمواطن، إذ عليه واجبات ومســـؤولية مجتمعيـــة تجاه أهله وجيرانه وزملائه في العمل والدراسة. وليس أقل من المواطن تلك المؤسســـات التي عليها واجبـــات أكبر باعتبارهـــا محاضن ومراكز يلجأ إليها الناس وقت الأزمات، وخاصة عند الشعور بالقلق والحاجة إلى علاجات روحية.

ولقد سرّني كثيرًا ما رأيته -أكثر من مرة- عند اجتماع مجلس القساوسة على مستوى الوطن لمناقشـــة الوضع العام والمساهمات التي يجب القيام بها كمؤسسة دينية. لأنني رأيت توجه رئيس الـــوزراء ووزيرة الثقافة إلى اللقاء مع قادة وممثـــلي الديانات الثلاث المســـيحية واليهودية والإســـلامية من أجل التعاون معهم في مواجهة التحديات في أزمة فيروس كورونا.

إنّ على المؤسسات الســـويدية الإسلامية أن تكون في المســـتوى المطلـــوب لكي تقوم بدورها في هذا الوضع الخطير، الذي يمر به البلد بعد انتشار هذه الجائحة المؤثرة جداً في حياتنا. ولا ننكر أنّ هنالك محاولات يومية أو أسبوعية للقيام بدور ما في هذه الأزمة؛ لكن نلاحظ أن الجاهزية المسبقة لمثل هذه الأزمات في مؤسساتنا ولا تزال متواضعة. لا تزال هذه المؤسســـات تتحدث في الغالب باللغة العربية وتخاطب الناطقين باللغة العربية، بحيث لا يعلم المواطن السويدي شيئاً عن هذه الجهود والمبادرات؛ لأنها تُقدم للمسلم والعربي فقط دون غيره.

ولا بد من ذكـــر أنّ الغالبية العظمى من رواد هذه المؤسســـات لا تجيد اللغة العربية فضلاً عـــن إتقانها اللغة الســـويدية ما لم يكونوا من أبناء البلد الأصليين أو من مواليده. ولقد يئس الناس من المشاريع قصيرة النفَس والرؤى التي تعيش على حماســـة القائمين عليها، أو دوافع أخرى قد تكون لأغراض غير شريفة في ذاتها.

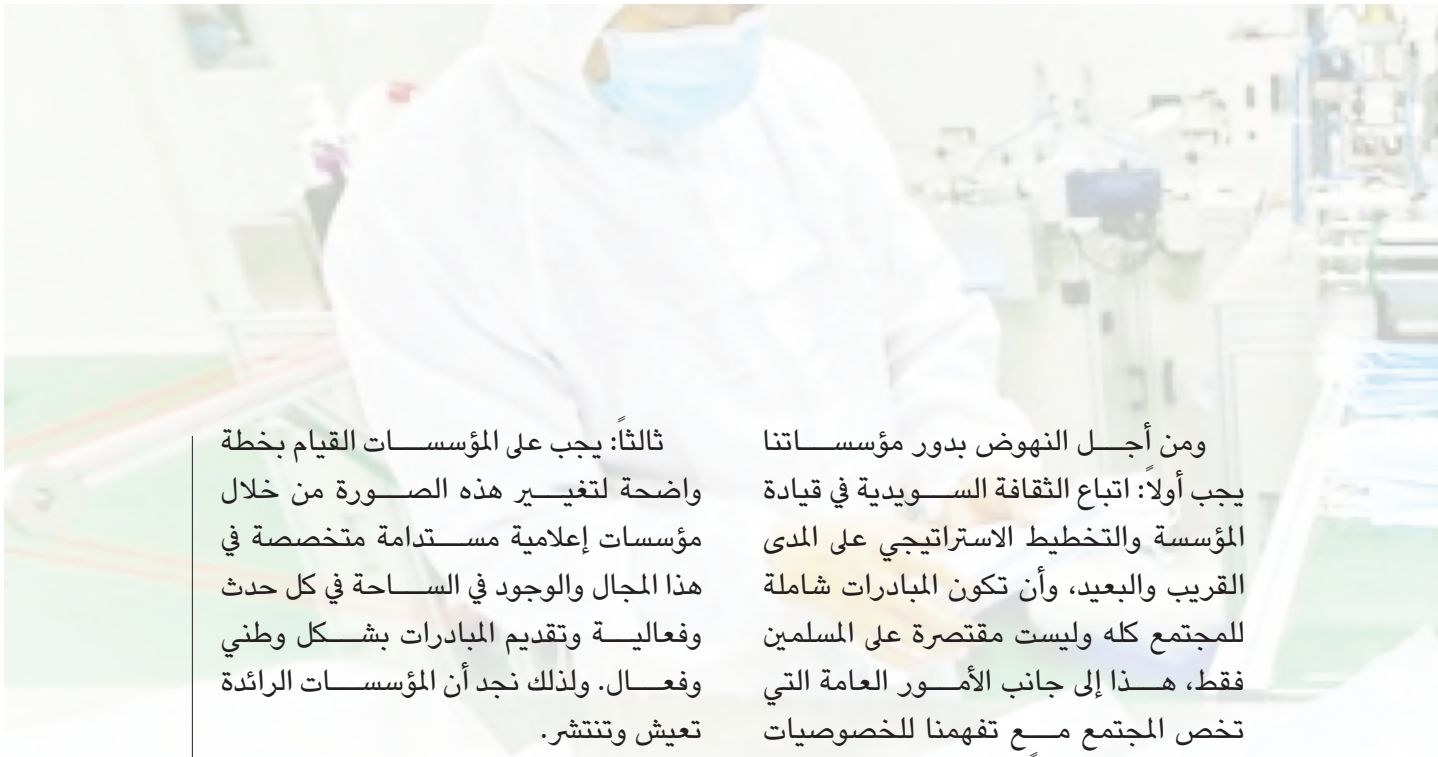

ومن أجـــل النهوض بدور مؤسســـاتنا يجب أولاً: اتباع الثقافة الســـويدية في قيادة المؤسسة والتخطيط الاستراتيجي على المدى القريب والبعيد، وأن تكون المبادرات شاملة للمجتمع كله وليست مقتصرة على المسلمين فقط، هـــذا إلى جانب الأمـــور العامة التي تخص المجتمع مـــع تفهمنا للخصوصيات التي تتطلب – نوعاً مـــا – العناية بالفئات المستهدفة.

ثانياً: يجب الاعتماد على اللغة الســـويدية في العمـــل وإيجاد ناطقين رســـميين لهذه المؤسسات باللغة الســـويدية، والتفريق بين تعليم اللغة العربية والمشـــاركة في المجتمع والتفاعل مع أفراحه وأحزانه وأزماته.

إنّ صورة المؤسســـات الإسلامية قاتمة ومشوهة ومشتبه بها بسبب الهجمة الشرسة من قبل اليمين المتطـــرف، فضلاً عن تبني وســـائل الإعلام أفكاراً غير عادلة ضد هذه المؤسســـات وتضخيم أخطائها وشيطنتها بشـــكل كبير. وكذلك جعل كل المؤسســـات في بوتقة واحـــدة متهمة إياهـــا بالإرهاب والتطرف، وعدم التفريق بين المؤسســـات الوطنية السويدية الإســـلامية والمؤسسات التـــي أثبتت علاقتها بالإرهـــاب والتطرف والتشدد.

ثالثاً: يجب على المؤسســـات القيام بخطة واضحة لتغيـــير هذه الصـــورة من خلال مؤسسات إعلامية مســـتدامة متخصصة في هذا المجال والوجود في الســـاحة في كل حدث وفعاليـــة وتقديم المبادرات بشـــكل وطني وفعـــال. ولذلك نجد أن المؤسســـات الرائدة تعيش وتنتشر.

رابعاً: يجب التحول من تمثيل المؤسسات هذه للمســـلمين إلى تمثيل المواطنين بشكل عـــام، والعمل مع الدوائـــر المعنية في كل ما يستجد والدفاع عن نفسها وبيان معارضتها وموافقتها لكل ما يحدث وما يخصها بالذات، والكف عن عبارة – التعامل مع المؤسســـات الســـويدية – لأننا إذا لم نتحول من الشعور بأننا مهاجرون إلى الإحســـاس بالمواطنة فلن ننجح في أن نكون مؤسســـة سويدية بريادة وشغف.

مشاهدات من داخل مدينة هندية تعيش جائحة كورونا

إعداد: منهاج محمد
كاليكوت – الهند

لم أكن أتوقع هذه الأيام العجيبة الغريبة في حياتي ولو في الخيال، ولم أكن أحسب أن الجوائح تأتي بهذا الشكل المرعب المخيف، فعلا إنها أيام صعبة. لا أحد على ظهر البسيطة يذكر في عمره كله فترة كهذه الفترة.

لكأن الأرض تعبت من الأحداث الجسام، فأرادت أن تستريح قليلا. لقد سمعت ما قاله البعض هنا بأن: «كورونا لقاح للأرض من فيروس الإنسان»!

تناقل الناس تسجيل فيديو للباحثة الهندية بريثا كريشنا المتخصصة في الروحانيات، إذ قالت إن كائنات أضخم من الإنسان عاشت على هذه الأرض لكنها انقرضت لأنها لم تعد نافعة لبيئتها، وكانت حياتها خصمًا للحياة في الأرض، وكان حتمًا على مثل هذه الكائنات أن تفنى، فهل يا ترى صارت حياة الإنسان نقيضاً للبيئة المثلى لكوكب الأرض؟!

فرصة نادرة أن يسود الهدوء في الملاهي والمقاهي، وأن تتوقف الطائرات والسيارات التي تنفث سمومها في الجو. انخفض فجأة استهلاك الوقود والكهرباء وتوقف تصاعد الأبخرة من المصانع وإلقاء النفايات. وعندما لزم الناس بيوتهم، تنفست الحدائق هواء نظيفاً، وخلت الشوارع من أطنان الأوساخ التي كان يخلفها الناس في كل مكان.

رأيت هذا الأثر في ولايتي التي أعيش فيها في جنوب شبه القارة الهندية. فأثر كورونا في ولايتي لم يقل ضررًا من الولايات الأخرى، ففي هذا اليوم الذي أكتب فيه هذا المقال يوجد مائة مصاب بالفيروس، مع أن الهند عموماً فيها حتى اليوم ثمانمائة مصاب.

على إثر اكتشاف الإصابات الأولى، أغلقت المساجد على المصلين وفرغت المدارس من الطالبين وخلت الشوارع من السارين. ركاب طائرة كاملة يوضعون في الحجر الصحي بسبب مصاب واحد، ويدخل من أجل واحد المئات في المستشفى ما بين متأثر أو محتمل للتأثر. والمريض في عزلة تامة كأنه في عالم آخر. ولفداحة العزلة ووحشتها فرَّ البعض وهربوا.

عندما سادت هذه الأحوال في ولايتي وكنت أسكن في مساكن الكلية التي أدرس فيها، أعلنوا أن المدارس والمعاهد في المنطقة بدأت تغلق واحدة تلو الأخرى. وبدأ الطلاب يعودون إلى بيوتهم، لكن عميد معهدنا لم يغلق المعهد إلى أن أتى آخر إنذار من قبل الحكومة، حيث عز عليه ترك الدراسة وتعطيلها إلى أجل غير مسمى. هذه الأحوال الاستثنائية ألزمته وإيانا أن نعود إلى ديارنا وألا نخرج منها إلا عند الضرورة الماسة. وأتى قرارٌ من الجامعة بتأجيل الامتحانات. وتلاه قرار الحكومة، بإيقاف جميع البرامج التي يجتمع فيها الناس في أي مكان، فأغلقت المساجد والمعابد في الأيام التالية.

كان صعبًا علينا أن نترك الجمعة والجماعات، وأن أبواب المساجد أوصدت أمامنا بهذه الصورة. حزننا وألمنا على ذلك كانا شديدين.

سألت والدي هل يذكر في عمره فترة كهذه الفترة، فقال لا، وكذلك قال جدي، إذ لم يمر جدي ولا أبي بمثل هذه الظروف. نعم حدثت الحروب وفرض الطوارئ السياسية، لكن هذه الحالة لم تحدث من قبل، ماذا نفعل قدر الله واقع، ليس له دافع.

أثنـــاء متابعتي للأخبار فكَّرت بـــأن حالات الإصابة لا تعدو ســـوى هذه العشرات، ولم نسمع بحالة وفاة بل شفي بعضهـــم، فتفكرت في نفسي هل كان مـــن اللازم أن تتخذ الحكومة هذه التدابير الاحترازية إلى هذه الدرجة العالية طالما أن الأمر قيد السيطرة؟

لمـــا أمعنت التفكير اهتديـــت إلى أن الحكومة على دراية بخطورة الموقف، ولولا ذلك لمـــا لجأت إلى ما لجأت إليه من الاحتياطات المفرطة.

أولا: ولايتنا تعتمد على الناس الذين يشتغلون في الخارج، ولعل غالب ثروتها المالية ونهضتها الاقتصادية يعود إلى من شـــدوا رحالهم من هذه الولاية إلى بلاد شتى، وهم يعملون في الدول الغربية والشرقية وفي البلاد الجنوبية والشـــمالية، وعدد المغتربين من هذه الولاية الصغيرة يربو على ٣.٤ ملايين حسب استعراض سنة ٢٠١٨. ومن الطبيعي أن يعود عدد كبير منهم إلى وطنهم ويلجؤوا إلى بيوتهم عندما تعلن طوارئ صحية في العالم، وذلك مما سيحدث في الولاية خطرا.

ثانيا: الكثافة السكانية عالية في ولاية كيرلا، تعداد ٢٠١١ يفيد بأن الكثافة الســـكانية في كيرلا ٨٦٠ شـــخصاً في كل كيلومتر مربع، وذلك يشير إلى أن الإمكانية كبيرة لتحول هذه الجائحة إلى بلاء ماحق في الولاية، إضافة إلى ما نســـمع أن عدوى هذا الفيروس عالية جدًا.

ثالثا: الهياكل الأساســـية في هذه الولاية ليســـت كافية لمواجهة جائحة مثل كورونا. أقول هذه الحقيقة دون إنكار مهارة أطباء كيرلا في مجالهم، وذلك مع أن ولاية كيرلا تمتلك مكانة عالية بين ســـائر الولايـــات الهندية، ولكن هذا كله لا يجدي أمـــام مرض أعجز الدول الغربيـــة بما فيها إيطاليا وأمريكا.

رابعـــا: إن كيرلا واجهـــت فيضانًا كبيرًا في الســـنتين الماضيتين، وكذلك واجهت وباءً خطيرا اسمه نيبا، ولم ينهض مجـــال اقتصادها من الخمول الذي أتت به هذه البلايا حتى أصابه فيروس أخطر من كل ذلك.

ولكن كيرلا مع كل هذه التحديـــات الهائلة وقفت وقفة الجبال الراسخة؛ حيث إنها استطاعت دحر هذا الفيروس في قدومه الأول، وذلك عندما عاد ثلاثة طلاب من الصين متأثرين بالمرض، فأثنى الجميع على ولاية كيرلا على تدابيرها حتى دفع الفيروس بشكل تام. ووفد إليها الأطباء من الولايات المختلفة لكي يطلعوا على هذه التجربة عـــن كثب حتى يطبقوا هذه الاحتياطات في بلادهم. لكن للأسف الفيروس كأنه استجمع جميع قوته وأتى إلى كـــيرلا بعد أيام قلائل، وذلك عبر ثلاثة آخرين من الذين عادوا من إيطاليا، وبعد ذلك عاد الكثيرون من الدول الخليجيـــة المختلفة مع هذا المـــرض. فالأحوال أصبحت قوية إلى درجة تزعـــزع أقدام الولاية. لكن حكومة الولاية كانت سداً منيعا ولم تسمح بأن يتفشى الفيروس كما تفشى في جميع البلدان. لقد شدَّت الحكومة مئزرها وتجهزت بشكل كامل لمواجهة هذا البلاء، ووزيرة الصحة السيدة كي كي شـــيلاجة عقدت مؤتمرات صحفية بين الفينة والأخرى وأعطت التعليمـــات اللازمة للمجتمع، وكذلك تابعت الأطباء والموظفين باستمرار وقامت بتنسيق الأعمال الوقائية بشكل قوي. كما أن رئيس وزراء كـــيرلا أعلن حزمة مالية ضخمة تساوي ٢٦٥.٨ مليون دولار أمريكي، وأمر بإعطاء الأطعمة مجانا عبر نظام التوزيع العام، وتأكد من وصول الأطعمة إلى كل الفقراء وفق برنامج خاص.

ومع كل ذلك شـــددت الحكومة في أمر الذين يأتون من الخارج وألزمتهم بالمكوث بالحجر الصحي في بيوتهم أو في المستشفيات إن لزم الأمر. الوضع حتى الآن تحت السيطرة وإن تجـــاوز عـــدد المصابين مائة شـــخص. ولعل تجربة الحكومة السابقة مع فيروس نيبا في السنة الماضية ساعدتها في محاربة هذا الفيروس المهلك.

ومما لاحظته في هذا الوباء انتشـــار الشائعات على نطاق واسع، وســـمعنا بمدعي العلاج الذين يقترحون بول الأبقار علاجًا، أو الذين قالوا إن الشـــاي علاج ناجع، وكل ذلك من التخرصات التي لا نفع منها، خاصة أن الذين يقولون ذلك هم من غير أهل العلم، إذ علينا أن نأخذ المعلومة من العلماء ذوي الاختصاص في الشأن الطبي.

وندعو الله سبحانه أن يخلص البلد من هذا الوباء قبل أن يتحول إلى بلاء كبير وسائر بلاد المسلمين.

المجمع الفقهي الإسلامي..

مسيرة ٥٠ عاماً من العطاء الفقهي المؤصل والخبرة المؤسسية في النوازل مثل جائحة كورونا"

أقدمُ وأعرقُ المجامع الفقهية

1. يتبع رابطة العالم الإسلامي
2. هيئة علمية إسلامية مستقلة
3. يضم نخبة من علماء الأمة

أهم أهداف المجمع

1. بيان أحكام النوازل والقضايا المعاصرة
2. صياغة التراث الفقهي بمفاهيم عصرية
3. تشجيع البحث في مجالات الفقه الإسلامي
4. جمع الآراء الموثوقة للعلماء والمجامع
5. تفنيد ما يثار حول الأحكام الإسلامية

إنجازات تتواصل

- مركز تتبع القضايا المعاصرة
- معاجم الفقه الإسلامي وعلومه
- إصدار مجلة علمية محكمة
- ندوات علمية عن قضايا العصر
- وحدات ترجمة ونشر بلغات عدة
- تعاون وتبادل فكري حول العالم

في اليوم العالمي للمرأة

أبرز الواجبات دعم التنمية والتربية وترسيخ القيم الدينية والأخلاقية ومحبة الأوطان

القاهرة: محمد الدسوقي

اختارت الأمم المتحدة يوم الثامن من مارس من كل عام يومًا عالميًا للمرأة بهدف إتاحة أسباب العيش الكريم أمامها، بما في ذلك مشاركتها في بناء المجتمع وتنميته، وحمايتها من جميع أشكال العنف والتمييز والاستغلال، وتأكيد حقها في الحياة والتعليم والعمل.

وتحرص الدول خلال الاحتفال بهذه المناسبة على بيان جهودها في تكريم المرأة، وتعظيم دورها، وتقدير إنجازاتها، بالإضافة إلى تجديد العزم على استمرار جهود الارتقاء بشؤونها في مختلف المجالات.

وإذا كانت الأمم المتحدة قد اختصت المرأة بيوم عالمي ـ قبل نحو نصف قرن ـ يتذكرها فيه العالم إجلالاً لمكانتها؛ فقد سبق الإسلام جميع الأمم إلى تكريم المرأة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، وأقر المبادئ والتعاليم والأحكام التي تكفل رعايتها وحمايتها في كل وقت بجميع مراحل حياتها.

ومع احتفال العالم بيوم المرأة تتأكد حاجة الإنسانية المتزايدة إلى الإفادة من تعاليم الإسلام وتشريعاته السامية في مجال تكريم المرأة، واحترام مكانتها، وتشجيعها على المشاركة الإيجابية في جهود البناء والتنمية.

د. محمود زقزوق: حقوق المرأة في الإسلام ملزمة وواجبنا دعم جهودها

فكيف احتفى الإسلام بالمرأة؟ وماذا أقر لها من الكرامة والحقوق والرعاية والمكانة؟ وما ضمانات مشاركتها في المجتمع؟ وهل ينجح العالم في الأخذ بمبادئ الإسلام الرامية إلى حماية المرأة وصيانة حقوقها والنهوض بشؤونها؟ وكيف يمكن الإفادة من اليوم العالمي للمرأة في التعريف بتلك المبادئ والحقوق.

في السطور التالية نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة.

حقوق ملزمة

لأهمية اليوم العالمي للمرأة في تعريف الشعوب بحقوقها، وتشجيع مشاركتها في بناء الأسرة والنهوض بالمجتمع، يؤكد الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري الأسبق أن الإسلام قرر للمرأة حقوقاً ملزمة، في مقدمتها المساواة في

الكرامة الإنسانية، وحق التزوج واختيار شريك حياتها برضاء كامل، وحق التملك، وحرية التفكير والاعتقاد والرأي والتعبير، والمشاركة في الحياة الاجتماعية، وحرية العمل والتعلم، والمشاركة في الإبداع العلمي والثقافي في المجتمع.

ويقول: جعل الإسلام المسؤولية الدينية للمرأة أمام الله متساوية مع المسؤولية الدينية للرجل، قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (سورة التوبة: ٧١).

ويوضح أن للمرأة في الإسلام استقلالها التام في التصرف فيما تملك دون وصاية أو إذن من الرجل، وأن الزوج مكلف بالإنفاق على زوجته وتوفير أسباب الحياة الكريمة لها، وأن طلب العلم حق للمرأة مثل الرجل تماما، بل هو فريضة مقررة عليها.

ومن تكريم الإسلام المرأة ورعايتها أن سميت إحدى سور القرآن سورة النساء، وكذلك سورة مريم، وهناك سور في القرآن الكريم تعالج مسائل مهمة تتعلق بالمرأة. فمثلاً جاءت حقوق النساء في أكثر من سورة في القرآن، منها سور: البقرة والمائدة والنور والمجادلة والممتحنة، الأمر الذي يؤكد أهمية دور المرأة وارتفاع قدرها وعلوّ مكانتها في المجتمع.

ويضيف ـ في دراسة بعنوان: «قضية المرأة في ضوء الدين» أن المرأة في الصدر الأول للإسلام لم تكن تعرف السلبية ولم تركن إلى اللامبالاة، بل كانت تدلي برأيها وتشارك بجهدها، فكل ما يهم المجتمع يهمها، ورأيها في كل الأمور مطلوب مثل

د.أحمد عمر هاشم: العالم مطالب بالإفادة من مبادئ الإسلام في حماية المرأة

الرجل.

وإذا كنا جميعًا نُسلّم للمرأة بأهليتها في تربية الأجيال التي ستتولى قيادة الأمة في وقت من الأوقات فإننا بذلك نُسلّم ـ أردنا أم لم نرد ـ بأن من حقها، بل ومن واجبها، المشاركة في كل أنشطة المجتمع لتسهم برأيها وخبراتها.

تصحيح الصورة

أما الدكتور أحمد عمر هاشم عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر فيلفت إلى أن أغلبية الحضارات السابقة للإسلام حرمت المرأة من أبسط حقوقها في الحياة، فعاشت قرونًا طويلة بلا كرامة إنسانية، أو مكانة اجتماعية، أو رأي في أمور حياتها، ولم تكن تعرف شيئًا من حقوقها في أي مجال، وعانت الظلم والإذلال حتى إن بعض الحضارات كانت تعاملها كالمتاع الذي يُوَرَّث.

ويؤكد أن الإسلام أعاد إليها إنسانيتها التي كانت مهدرة، وردّ اعتبارها بعد أن كان مفقودا، وأقرّ حقوقها في الحياة، والتربية، والتعليم، والعمل، واختيار الزوج، كما أقرّ أهليتها لتلقي التكاليف الشرعية، وحقها في التعبير وإبداء الرأي، والحماية والرعاية، وحق البيعة، والإجارة، والولاية العامة،

د. محمد عبد الحليم: التنسيق بين المؤسسات لإسقاط الشبهات حول المرأة

وأهليتها الاقتصاديـــة، وحقها في النفقة والصداق والميراث، وغيرها من الحقوق غير المســـبوقة التي عاشت قرونا طويلة محرومة منها.

ويضيـــف أن ما يحتفل بـــه العالم من حقوق للمـــرأة في يومها العالمي كل عـــام يمثل بعض ما سبق إليه الإســـلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، مشـــيرا إلى أن الطريق ما زال مفتوحا للإفادة من قيم الإســـلام ومبادئه وتعاليمـــه في تكريم المرأة وحماية حقوقها وتشـــجيعها على الوفاء بدورها في تحقيق التنميـــة وصناعة التقدم والحضارة إلى جوار شقيقها الرجل.

ويدعو المؤسسات الدعوية والتربوية والإعلامية في العالم العربي والإسلامي إلى التعاون في التعريف بمكانة المرأة، وترســـيخ دورها في البناء والتنمية، وتصحيح الصورة المغلوطة والأفكار الخاطئة التي يُروّجها عنها بعض الغربيين.

تكامل ورعاية

وترى الدكتورة فوزية العشـــماوي، أســـتاذة الحضارة الإسلامية بجامعات ســـويسرا، رئيسة منتدى المرأة الأوروبية المســـلمة، أن اليوم العالمي للمـــرأة فرصة متجددة ســـنويا للتعريف بمكانة المرأة في الإسلام، وما اختصها به من مكانة ورعاية وحقوق لم يسبق إليها.

وتجزم بأن العلاقة بين الرجل والمرأة تكاملية، ولا صراع فيها، وأن هـــذا التكامل مرتبط بقضية «القوامة» التي تعني احترام المرأة، ورعايتها رعاية كاملة، والعناية بحقوقها، وتحمل المسؤولية كاملة تجاهها.

وتقـــول: إن الرجل هو المســـؤول عن الأسرة، والمرأة مســـؤولة عنها أيضا، وتديرها كيف تشاء، قال صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومســـؤولة عن رعيتها...».. (رواه البخاري).

وتلفت إلى أن الرســـول، صلى الله عليه وسلم، استخدم وصف «راع» لكل من الرجل والمرأة، ليحدد مهمة كل منهما، وهذا دليل على المســـاواة بينهما، فهما مشتركان في الرعاية والمسؤولية عن الأسرة.

ذمة مستقلة

وتتوقف أمام قضية مهمة، مؤكدة أن الإســـلام منح المرأة استقلالية الذمة المالية قبل كل الحضارات والأديـــان الأخرى، ودليل ذلك أن المرأة الغربية منذ القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت لا تتمتع بحق استقلال الذمة المالية، ولم يكن من حقها التصرف في أموالها أو ميراثها إلا بموافقة أبيها أو زوجها.

أما المرأة المســـلمة فقد تمتعت بحق استقلالية الذمة المالية منذ ظهور الإســـلام في القرن السابع

الميلادي، حيث كفـــل لها حق البيع والشراء وإبرام العقود دون أي تدخل من أي رجل، ســـواء كان أبا أو أخا أو زوجا أو ابنا.

وتضيـــف أن الإســـلام كفل جميـــع الحقوق السياسية والاجتماعية للرجل والمرأة على حد سواء، وهذا ما فعلته النســـاء عندما بايعن الرسول، صلى الله عليه وسلم، مع الرجال تحت الشجرة.

وتلفت إلى أن المرأة في عهد الرســـول، صلى الله عليه وسلم، كانت تخرج لاجتماعات عامة في مسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم، بالمدينة، كما كانت تذهب إلى مســـجد الرسول للصلاة وراءه، ولسماع دروســـه وخطبه الدينية، وما ينزل عليه من وحي، وطالبت النســـاء الرســـول، صلى الله عليه وسلم، بدروس خاصة بهن في المسجد.

وذكرت كتب السنة والسيرة أن امرأة مسلمة هي نسيبة بنت كعب أو «أم عمارة»، شاركت ببسالة في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة أحد. كانت تقاتل دون رســـول الله وتتصدى لابن قميئة الذي اندفع نحو الرسول ليطعنه، ولكن «أم عمارة» تلقت الطعنة في كتفها، ورآها الرسول صلى الله عليه وســـلم، وقال لها في إشادة وإعجاب: «من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة».

عمارة الأرض

ويوضح الدكتـــور محمد عبـــد الحليم عمر، الأســـتاذ بجامعة الأزهر، الخبـــير بمجمع الفقه الإســـلامي الدولي بجدة، أن المـــرأة في مجتمعاتنا تتميز على نظيراتها في المجتمعات الأخرى بالكثير من الحقوق والواجبات المقررة لها والمنوطة بها في كل شؤون الحياة.

ويقول: أعدّ الإســـلام المرأة إعدادا جيدا لمشاركة الرجـــل في التنمية وعمـــارة الأرض، والقيام بدور فعـــال في بناء المجتمع ونهضتـــه؛ وذلك من خلال مبادئه وتعاليمه وأحكامه وحقائقه.

ويشدد على ضرورة أن تعي المرأة جيدا، وكذلك الرجـــل، حقيقة الدور المنوط بـــكل منهما في بناء الأسرة ونهضـــة المجتمع والحيـــاة عامة، وأن هذا الدور يتناسب تماما مع الفطرة التي فطرهما الله تعالى عليها، كما يتناســـب مع القدرات والصفات الذاتية التي تختلف فيها المرأة عن الرجل.

ويلفت إلى أن الإســـلام يتعهـــد الرجل والمرأة بالتربيـــة والرعاية منذ طفولتهمـــا على حقيقة أن المسؤولية داخل الأسرة تعاونية تكاملية، وأن قيام كل منهما بدوره كاملا في إطار الضوابط الإسلامية يمثل ضمانة كبرى لتكوين الأسرة الصالحة القادرة على تربية أبنائها وحمايتهم، والمشـــاركة في تنمية مجتمعها وتقدمه.

ويدعو إلى التنســـيق والتعـــاون بين مختلف المؤسسات الدعوية والإعلامية والتربوية للإفادة من اليوم العالمي للمرأة في إســـقاط شبهات المغرضين، خاصة ما يزعمونه كذبـــا وزيفا عن تخلف وضع المرأة في المجتمعات المسلمة.

ويقول: إن هذه المناســـبة فرصة كبيرة لتقديم ما عندنا من كنوز أخلاقيـــة ومبادئ وقيم تخص المرأة إلى العالم كله؛ ليدرك ســـمو مكانة المرأة في مجتمعاتنا، ويكف عن الاستماع إلى المزاعم ضدها؛ ويتحول إلى الأخذ بتلك المبـــادئ والقيم للنهوض بشؤون المرأة في كل مكان ومجال.

أقــرت

وثيقة مكة المكرمة

حق المرأة في التمكين المشروع

في كل الشؤون:

الدينية | السياسية | الاجتماعية | العلمية

ولا يجوز الاستطالة على حقها بـ:

- تهميش دورها
- امتهان كرامتها
- التقليل من شأنها
- التقليل من فرصها
- التمييز في استحقاقاتها

> إن الحيلولة دون تحقيق تلك العدالة **جناية على المرأة خاصة والمجتمع عامة.**

رابطة العالم الإسلامي تدين الهجمات الإرهابية في نيجيريا وتشاد

مكة المكرمة:

أعربت رابطة العالم الإسلامي عن إدانتها واستنكارها الشديدين للهجوم الذي استهدف مجموعة من العسكريين في جزيرة بوما بجمهورية تشاد ونتج عنه عشرات القتلى والجرحى.

كما أعربت الرابطة عن إدانتها واستنكارها الشديدين للهجوم الذي استهدف الجيش النيجيري في شمال شرق البلاد ونتج عنه عشرات القتلى والجرحى.

وأوضح بيان الرابطة الصادر عن معالي أمينها العام رئيس مجلس هيئة علماء المسلمين الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى أن هذه الأعمال الإرهابية لن تزيد الحرب على الإرهاب إلا تماسكاً وقوة، مبيناً أهمية متابعة تنسيق الجهود لحرب هذه الآفة، ولا سيما مواجهتها فكرياً لدحر شرها من جذورها، جنباً إلى جنب مع المواجهة العسكرية، والتي نالت من الإرهاب حتى أثخنته.

ولفت إلى أن الإرهاب قام على فكر منحرف يتوالد من حين لآخر، وأن هزيمته الكاملة تكمن في كشف حقيقة أفكاره الضالة وتفكيك شبهاته كافة، وهي القائمة على ضلال منهجي استطاع به اختراق بعض مستهدفيه.

ونوه بيان الرابطة بالدور الكبير الذي يقوم به التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب، شاملاً بمظلته إحدى وأربعين دولة إسلامية أعضاء فاعلين في تحالفه المهم، إضافة إلى الدول الداعمة الأخرى، مشيداً بمحاوره الأربعة، وهي المواجهة العسكرية والفكرية والإعلامية واستهداف التمويلات الإرهابية من خلال التشريعات الفاعلة والإجراءات المشددة مع التنسيق المتبادل بين الدول.

كما نوه البيان بالجهود المهمة التي يقوم بها التحالف الدولي ضد داعش، مضيفًا أن الإرهاب وهو يرى تلك الجهود تُضَيِّق الخناق عليه فإنه من حين لآخر يسعى لإبراز وجوده بأعمال إجرامية يائسة.

مفهوم التجديد في الإسلام: حدوده وضوابطه

د. محمد وقيع الله أحمد
جامعة إفريقيا العالمية

من مزايا الدين الإسلامي سعته وشموله ومرونته وقابليته للتجديد، وإحياء ما اندرس من تعاليمه، حيث ينبري نفر من خيار الأمة للقيام بمهمة التجديد دوريًا، وفي هذه الأسطر نتعرف على معنى التجديد لفظًا واصطلاحًا، وعلى دواعي الحاجة إلى التجديد، والدليل الشرعي عليه، ومؤهلات المجددين، والشروط المعتبرة في أعمالهم، مع تبيان الفارق بين أعمال التجديد الكلي والتجديد الجزئي.

التجديد لغة

يعني التجديد لغة: إعادة القوة والفاعلية لشيء قديم دارس، تآزرت عليه عوامل التقليد، والجمود، والتجريف، والتحريف، والطمس، والتشويه، والتغيير، والتعطيل، والهدم، والبِلى، حتى فقد الكثير من هيبته، وقوته، وقيمته، وصار مهدَّدا في أصل وجوده، لولا أن تدخلت يد التجديد فأعادت إليه حيويته التي كان ينعم بها، وصانته من عدوان العوامل السلبية الخطرة التي اعتورته واحتوشته.

ولهذا المعنى اللغوي أصل في قاموس لسان العرب، حيث جاء فيه: الجِدَّةُ: نَقِيض البِلى، يقال: شيءٌ جديد... جَدَّ الثوبُ والشيءُ يجِدُّ... صار جديدًا، وهو نقيض الخَلَقِ.

ومما تقدم من هذا التفصيل ندرك أن التجديد هو ترميم الشيء الذي أصابه العطب والبِلى، وصقله، وإعادة بعثه، وتقويته، وتنشيطه لأداء مهمته في الحياة.

التجديد اصطلاحا

يقصد بالتجديد الإسلامي من حيث الاصطلاح: استعادة جوهر الدين الإسلامي، سليمًا، صافيًا، مبرأ مما شابه، وخالطه؛ وامتزج به من العقائد الباطلة، والبدع الدخيلة، والعادات الرذيلة، وتنقيته مما ران عليه من التأويل الذي لا مسوِّغ له، ومن سلوك الهجر، والتعطيل، وعدم الفاعلية.

ولهذا قال ابن قيم الجوزية: «ولهذا لما سلط المحرِّفون التأويلات الباطلة على نصوص الشرع، فسد الدين فسادًا؛ ولولا أن الله سبحانه تكفل بحفظه، وأقام له حرسا، وكَّلهم بحمايته من تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين؛ لجرى عليه ما جرى على الأديان السالفة، ولكن الله برحمته وعنايته بهذه الأمة، يبعث لها عند دروس السنة، وظهور البدعة، من يجدد لها دينها، ولا يزال يغرس في دينه غرسا يستعملهم فيه علما وعملا».

إلى أن قال: «ولولا ضمان الله بحفظ دينه، وتكفله

بأن يقيم له من يجدد أعلامـــه، ويحيي منه ما أماته المبطلون، وينعش ما أخمله الجاهلون؛ لهدمت أركانه، وتداعـــى بنيانه، ولكن الله ذو فضـــل على العالمين». (انظر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة).

ومن التعريفات الشائعة لمفهوم التجديد قول جلال الدين السيوطي: «المراد بتجديد الدين؛ تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفـــي ما يعرض لأهله من البدع، والغلو فيه، أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وســـنن الاجتماع والعمران في شريعته» (فيض القدير للمناوي).

ومن هـــذه التعريفات قول الإمام شـــمس الدين العلقمي: «معنـــى التجديد إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والســـنة، والأمـــر بمقتضاهما» (المرجع السابق).

وقول الإمام محمد بن علي الشـــوكاني إن التجديد: «إحياء ما اندرس من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة، وما ذهب من الســـنن، وخُفـــي من العلوم الظاهرة والباطنة» (المرجع نفسه).

وقول الإمام محمد الطاهر بن عاشور: «هذا الدين قد أظهره الله تعالى ونـــصره؛ فتكامل أمره حين قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» المائدة: ٣. فكان في زمن رسول الله دينا واضحا، بيِّنا، قويا، لا يتطرقه تضليل، ولا يحول دون نفوذه قوي ولا ضئيل، وذلك الكمال في أمور:

أولها: العمل به، وتحقيق مقاصده.

الثاني: نصره وإقامته.

الثالث: انتشاره، وزيادته، وتسهيل بثِّه.

الرابع: حراسته، وحفظه من تدخل الضلالات.

الخامس: دفع نائبة حلت بالإســـلام، إذا استمرت أفضت إلى طمس معالم الدين، أو إفســـاد الإيمان، أو ذهاب سلطانه.

وقد تمتد إليه يـــدُ الرَّثاثة من إحدى نواحي جِدَّته، فهو لا يرثُّ من جميع نواحيه؛ لأن الله قد ضمن حفظه.

ولكنـــه قد تتسرب إليه أســـباب الرَّثاثة من إحدى النواحي؛ فَيُشـــاهد الضعف فيها، فيبعث الله له من يجدده بأن يزيل عنه أســـباب الرَّثاثة، ويرده جديدا ناصعا.

فالتجديد الديني يلزم أن يعود عمله بإصلاح للناس في الدنيا:

* إما من جهة التفكير الدينـــي الراجع إلى إدراك حقائق الدين كما هي.

* وإما من جهة العمـــل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال.

* وإما من جهة تأييد سلطانه» (محمد الطاهر بن عاشور، من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، مجلة الهداية الإسلامية، بتاريخ ربيع الأول ١٣٥٦هـ).

وبالجمع بين هـــذه التعريفات يمكـــن القول إن التجديد: هو إعـــادة الدين إلى أصله الأصيل، من حيث الصحة والصفاء؛ وذلك باستبعاد ما لحق به من الزيف المُبتدَع، مع الاجتهاد وسع الطاقة في استخراج الأحكام الفقهية، التي تتماشى مع أصـــول الشرع ومصادره، والتي تراعي مصالح الخلـــق في عصورهم وبيئاتهم المختلفـــة، ويترافق ذلك مع إحيـــاء الدعوة إلى الدين، وحمل الناس على الاســـتجابة لأحكامـــه وتوجيهاته، وتسويدها منهجا عاما لحياة الناس.

تجديد الرسالات السماوية

تتابعت الرســـالات الســـماوية؛ مراعية لظروف الزمان، ومتجاوبة مع صروف الواقع المتبدِّل، فجاء كل رسول بشرع من عند الله تعالى، يشتمل على العقيدة في وجود الله تعالى، ووحدانيته، وألوهيته، وربوبيته، كما جاء في قول الله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِـــينٌ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

أَلِيـــم» هود: ٢٥ – ٢٦. وقوله تعـــالى: «وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ» هود: ٦١.

وقد جددت الرسالات الســـماوية اعتقاد البشر في وجود اللـــه تعالى، ووحدانيتـــه، وربوبيته، وألوهيته، وأصلحت ما فسد من اعتقاد الناس، من حيث إشراكهم بالله تعـــالى، واتخاذهم الأصنام وبقيـــة الآلهة التي جعلوها أندادًا لله عز وجل، كما جاء في قول الله تعالى: «وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَـــالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَـــلَا تَتَّقُونَ» الأعراف: ٦٥. وكما جاء في قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَـــيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» الزخرف: ٢٦ – ٢٨.

وجددت الرسالات السماوية ما فسد من سلوك بعض المجتمعات القديمة، كمـــا جاء في قول الله تعـــالى عن مجاهدات ســـيدنا لوط عليه الســـلام لإصلاح الممارسات الجنســـية الفاسدة في المجتمع الذي بعث إليه: «وَلُوطًـــا إِذْ قَالَ لِقَوْمِـــهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» الأعراف: ٨٠ –٨١.

وكما في قوله تعالى عن مجاهدات ســـيدنا شعيب عليه الســـلام لإصلاح الواقع الاقتصادي الفاسد في من أرســـل إليهم: «وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُـــعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَـــيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ» الأعراف: ٨٤.

وانقطع توالي الرسالات السماوية ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم التي هيأ الله تعالى لها الخلود بقوله عز وجل: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» الحِجْر: ٩. وجعلت رســـالة الإســـلام خاتمة لرسالات السماء جميعا، وغـــدت صالحة لكل زمان ومـــكان؛ لا تقبل تغييرا، أو تحويرا، أو تطويرا.

الحاجة إلى التجديد

ولكن المجتمعات الإسلامية في سائرها بقيت تتقلب عبر تاريخها في فترات رشد، وصحو، وإشراق، وتألق، وازدهار، وقوة، ونهوض، وتَســـام، وأحيانا تعتورها الغِيَرُ، وتدول عليها الدُّول؛ فتنهزم، وتكبو، وتتدهور، وربما خرجت شاردة من ســـياق الفاعلية الحضارية ومن ســـجل التاريخ الحي، ودخلـــت في عهد جمود، وخمود وركود متطاول.

ولعل أهم العوامل التي ظلت تخرج الأمة الإسلامية من حيز الفاعلية الحضارية هي:

١- الضعف العلمي العام، ويقصد هنا ضعف العلم الديني والدنيوي لدى الأمة على السَّواء.

٢- خفوت أثر الوازع الديني والأخلاقي، في تصرفات الأفراد، واستهانتهم بالمبادئ والتعاليم الإسلامية.

٣- اســـتمراء الناس لحياة الترف، وانشـــغالهم بالمطالب المادية البحتـــة، مع العمل على تحقيقها بأي سبيل؛ مشروعا كان أو غير مشروع.

٤- اهتمـــام النـــاس بنيل الحقوق، قبـــل أدائهم الواجبات المفترضة عليهم.

وحالما خرجـــت الأمة من طور الفاعلية الحضارية، صعب اســـترجاعها إليه؛ لا سيما إن جاء سقوطها من ذِروة شـــاهقة كانت تعتليها؛ فإن ذهولها، وجروحها، وكسورها، قد تستعصي حينذاك على التطبيب؛ فتحتاج الأمـــة إلى زمن مديد كي تتعافى مما ألمَّ بها، وكي تتهيأ لاسترداد مجدها وعزها التليد.

وهنـــا تتضح حاجة الأمة إلى مجـــدد يأخذ بيدها، ويكشف لها معالم الطريق، ويسدد خطوها فيه.

الدليل الشرعي على تجديد أمر الدين

يتمثل الدليل الشرعي على تجديد أمر الدين في الأمة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا». رواه أبو داود، وصححه السخاوي، والألباني.

وقد شرح العلماء مدلول هذا الحديث الشريف فقالوا: إن كلمة (مَن) في نص الحديث اسم موصول يفيد الإطلاق؛ وبهذا لا يُتطلب أن يكون هذا المجدد فردًا واحدًا، وجاز أن يقوم بمهمة التجديد أكثر من شخص واحد، يفلح كل منهم في تجديد ما قدر عليه من نواحي النقص والطمس في أمور الدين على نطاق المجتمع الذي عاش فيه.

وقد جزم الإمام الحافظ الذهبي، وهو يكتب تأريخه لعصور الإسلام، أن لفظ (مَنْ يُجَدِّدُ) في هذا الحديث يشير إلى الجمع لا المفرد (محمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ، المجلد الثالث والعشرون، ص ١٨٠).

ونقل الإمام ابن كثير الدمشقي عن طائفة من العلماء أن: «الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء، من هذه الأعصار، ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم، عمن أدرك من السلف، إلى من يدركه من الخلف، كما جاء في الحديث من طرق مرسلة وغير مرسلة: «يَحملُ هذا العلمَ من كل خلَف عُدولٌ، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحال المبطلين» وهذا موجود، ولله الحمد والمنة، إلى زماننا هذا، ونحن في القرن الثامن» (انظر البداية والنهاية).

ومال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني إلى هذا الرأي فقال: «لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة... فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد» (فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٦هـ، المجلد الثالث عشر، ص ٢٩٥).

ومما يبدو من لفظ الحديث؛ فإن التجديد ينحصر في تصحيح تدين الناس، وبمعنى آخر؛ في تصويب فهمهم للدين، وذلك بردهم إلى أصوله الأولى، في الوحيين الكريمين، القرآن الحكيم والسنة المطهرة، ونفي البدع المستحدثة عن العقيدة والشريعة، وإلزام الأمة بأوامر الدين، وتجنب نواهيه.

أما الدين في ذاته فلا يتغير ولا يتحوَّر؛ لأنه محفوظ عن ذلك، بدليل قول الله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» الحِجْر: ٩.

ودليل قول الله تعالى: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ» فُصِّلَتْ: ٤٢.

ويستلزم من حفظ القرآن الكريم، حفظ السنة المطهرة كذلك؛ لأنها وحي من عند الله تعالى، ولأنها بيان للقرآن الكريم، وتفصيل لمعانيه الشريفة، وقد قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» النحل:٤٤.

مؤهلات المجدد

وللمجدد الذي يقوم بهذا العبء عديد من الشروط والمزايا، يمكن أن نذكر منها:

١- صحة الاعتقاد الديني: بحيث تتسق عقيدته مع ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدي الصحابة رضوان الله عنهم، فمن اختلطت عقيدته وزاغت، لا يُرتجى منه أن يرجع بدين المسلمين نقيًا من منابعه الأولى الصافية، ولذلك لا يتصور عقلا أن ينبثق المجدد الإسلامي من معاقل الفرق المنحرفة الضالة والمبتدعة.

٢- السمو الروحي: فمن يجدد الدين يجب أن يتمتع

باليقين الإيماني، ويلتزم العبادة الصحيحة الخاشعة، مع الإكثار من النوافل، والمداومة على التلاوة والذكر.

٣- التجـــرد التام وإنكار الـــذات: ومعنى ذلك أن يتخلى المجدد عن حظـــوظ النفس بالكلية، وعن طلب شيء لنفسه؛ فلا يطلب زعامة، ولا منصبا، ولا مالا، بل يضحي بكل ما عنده في سبيل إنجاز مهام التجديد.

٤- العلم بالشرع الإســـلامي والقـــدرة على تمييز الأصيل منه من الدخيل فيه:

أي أن يكون المجدد: «مجتهدا قائما بالحجة، ناصرا للســـنة، له ملكة رَدِّ المتشـــابهات إلى المُحكمَات، وقوة اســـتنباط الحقائق والدقائق النظريات من نصوص الفرقان، وإشـــاراته، ودلالاته، واقتضاءاته، من قلب حاضرٍ وفؤاد يقظان» (المنـــاوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول، ١٤٢٢هـ، ص ١٠).

٥- العلم بسنن الله تعالى في الأنفس والآفاق: فيكون صاحب فكر وتأمل عميق نافذ في أحوال المجتمع وتبصُّر في شؤونه؛ بما يلهمه الحكمة لمعرفة ما ألم به من علل وانحرافات، ويعرف أســـباب ذلك، فيشرع في علاجها حتى يتعافى الجسد الإسلامي منها.

٦- القدرة على ترتيـــب الأولويات الإصلاحية: فلا يترك الكليات، وينشـــغل عنها بالجزئيات، التي لا حد لها، فيشغل نفسه بمعارك كثيرة، جِدُّ صغيرة.

٧- القدرة على إنتاج الحلول المثلى لكبريات المشاكل والمعاضل التي تواجه المســـلمين في عصره: حيث لكل عصر من العصور نوازله الخاصة التي تنجم عن تحولات الحياة فيه، فينبغي أن يكون المجدد مســـتعدا بتأهيله العلمي وملكتـــه الفقهية من وضع الحلول الاجتهادية لما يطرأ في زمانه من قضايا مستجدة. وقد تناول الإمام المناوي هذا المعنى بقوله: «وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل، وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التنـــاد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها بل لا بد من طريق وافٍ بشأنها، اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرم (فحل) من الأعـــلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث، إجراءً لهذه الأمة مـــع علمائهم مجرى بني إسرائيل مع أنبيائهم».

٨- الاتســـام بالرفق واللين في معاملة الخلق: فلا يتشـــدد فيما لا طائل وراءه حتـــى يكون مقبولا عند الناس، خاصة أنه لا ســـلطة له عـــلى الخلق وإنما هو خادم متطوع لخدمتهم.

٩- الصلابة في التمســـك بالحـــق: فلا يضعف ولا يتهاون ولا يداهن، ويظل جريئا في بيان معاني الحق ومقتضياته، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم.

عمل المجدد

من صميم عمل المجدد أن يسهم في:

١- إحياء الرابطة الدينية بين المســـلمين، وتجديد شعورهم بانتمائهم للإسلام، واعتزازهم بهذا الانتماء، وتقديمه على أي انتماء آخر؛ وذلك لأن هذا هو الوضع الأصـــلي، الطبيعي، الـــذي ربما رانت عليـــه أحيانا الانتماءات.

٢- الأمر بالمعروف، وإشـــغال الناس بالطاعات، وحضِّهم على أعمال الخير والفضيلة، ودعوتهم إلى أداء الواجبات الاجتماعية، لا سيما ذات الطابع الحضاري منها، مثل العمل التعاوني، والبذل المالي لأعمال الخير والبِّر والتعمير.

٣- نشر العلم بكافة أنواعه: الشرعي، والاجتماعي، والأدبي، والطبيعي؛ بهدف ترقية الإنســـان المســـلم، ووصله بالمســـتويات العلمية العالمية، واستخدام ذلك كله لتقوية الذات المسلمة، والأمة المسلمة، ونشر الدعوة الإسلامية بصورة صحيحة ومثالية في العالمين.

٤- إزالة حالة الجمود التي تعتري فهم الناس للدين، وذلك بحصره واعتقاله في مجالات ضيقة، والعمل على تصحيح هذا الفهم بإشعار الناس بضرورة ربط الدين

بالواقع، وربط الواقع بالدين، وقراءة تراث السلف الصالح بوعي ومرونة، على ضوء ظروف الحاضر.

٥- تنقيـــة التراث الديني مما شـــابه وخالطه من أخطـــاء في التفكير والاجتهاد، فليـــس كل ما جاء به الاجتهاد قديما معصوما من الخطأ، ولا يُكسب تقادمُ الزمن أي خطأ ثوب الشرعية والحق.

التجديد الكلي والجزئي

قلما كان التجديد فيما شـــهده التاريخ الإسلامي من محاولات التجديد أصوليًا كليًا شـــاملا؛ وذلك لأن انحراف الأمة، وضلالها عن أمر دينها، لم يكن شاملا مُطبِقا، وظلت الأمة على إيمانها وإســـلامها في مختلف العصور، وإن اعتوَر ذلك بعض الضعف وخالطه شيء من الغبَش وعلاه بعض الرَّيْن.

وهكذا بقي الخير والـــشر يتعاقبان على الأمة، كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما حين قال: «كان الناس يســـألون رسول الله صلى الله عليه وســـلم عن الخير، وكنت أســـأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخـــير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخَن، قلت: وما دخَنه يا رســـول الله؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قـــال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليهـــا قذفوه فيها، قلت: يا رســـول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألســـنتنا، قلت: فما تأمرنـــي إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المســـلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ على أصل شـــجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» رواه البخاري ومسلم.

ويعضد من دِلالة هذا الحديث ما رواه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ». رواه مسلم.

وغالبا ما يكون التجديد الديني جزئيًا، وذلك بقدر الانحراف الطارئ على المجتمع، وقد يجيء محصورا في مجال بعينه؛ كالمجال العلمي، أو الدعوي، أو التربوي، أو التشريعي، أو السياسي.

ولا يلـــزم من التجديد الجزئي الانتصار للإســـلام بشكل حاســـم، وتحقُّق قيام دولته الراشدة، وتطبيق تعاليمه وشريعته كلها، وازدهار حضارته، وعلو أمره على سائر الدول.

استخلاص

لازمت صفة التجديد الديانات الســـماوية جميعا، وكانت تتم بإرسال الرســـل لإحياء العقائد والشرائع وبعثها وتنشـــيط العمل بها، حتى إذا جاءت الرسالة الخاتمة غدت مهمة التجديـــد الديني ملقاة على عاتق كبار علماء الأمة، وأئمتها، وأمرائها، ومصلحيها.

فظل ينبعث في الأمة بـــين الفَيْنَة والفَيْنَة من يجدد لها أمـــر دينها، على هذا الصعيد أو ذاك، وذلك بتوفيق من الله تعالى وفضل منه، ثم بما امتاز به هؤلاء الرواد من شـــعور مرهف بواجبهم الدعـــوي والإصلاحي والتجديدي، وبما اتصفوا به من صحة الاعتقاد الديني، والتطهر الباطني، والتسامي الروحي، والتفقه المتبصر في علوم الدين وعلوم الواقع الاجتماعي، وبما تحلوا به من عزائم الرشد والجد والإخلاص.

فيسهم هؤلاء المجددون في تصحيح العقائد الملتبسة، وربط الناس بالشرائع الحقة، ويعملون على انتشالهم مما انغمســـوا فيه من المعاصي، وبذلك ينتقل المجتمع الإسلامي من طور فتور إلى طور حياة متوثبة تليق بما أراده الإسلام لأتباعه ابتداء.

دور الجامعات الإسلامية في معالجة ظاهرة

التخويف من الإسلام

بقلم: الدكتور حسن عزوزي
رئيس مركز الدراســـات والأبحاث في مجال تصحيح صورة الإسلام بفاس

إذا كان التعليم الجامعي في البلـــدان المتقدمة علميًا يقوم بدور إيجابي وفعـــال في التنمية والتطور الصناعي والتكنولوجي والريادة في مجالات البحث العلمي المختلفة، فإنه بالنســـبة لدول العالم الإســـلامي ينبغي أن تقوم جامعاتها بجهود إضافية تخدم إحـــدى المصالح العليا للعالم الإســـلامي، وهي حماية الهوية والقيم والمقدسات الإســـلامية من جهة، والعمل من جهة أخرى على مواجهة التحديات الحضاريـــة التي لا ينكر أحـــد من المهتمين بأن أبرزها تحديات الإســـاءة للإســـلام والمسلمين. وهي التحديات التي باتت تفرض نفســـها بقوة مما يستدعي الالتفات إلى الدور الجديد الذي يمكن أن يقوم به الفضاء الجامعي الإســـلامي كواحد من أبرز الفضاءات الثقافية والفكرية التي تعتبر أكثر تأهيلا للتصدي والمواجهة لهذا التحدي الكبير. وإذا كان واضحًا أن التعليم الجامعي ليس بمنأى عن المتغيرات العالمية فإن عليه استيعابها والإعداد لمواجهتها، ولا يتجسد هذا الإعداد إلا في مؤسسات جامعية قوية وكفاءات علمية مؤهلة لهذه المهمة.

إن التعليـــم الجامعي الإســـلامي – في ظل التحديات الحضاريـــة والمتغيرات الدولية الراهنـــة – مدعو إلى بذل أقصى الجهـــود والطاقات للقيام بدور إيجابي في معالجة الحملات الدعائية ضد الإســـلام التي تتســـارع ويتفاقم أمرهـــا، وقد بات مفروضا بإلحـــاح – أمام هذا الواقع – استجابة الجامعات الإســـلامية الفعلية والعملية لواجب التصدي والمعالجة.

وإن مما يدعـــو إلى اعتبار الجامعة الإســـلامية أكثر انخراطا في مهمة مواجهـــة التحديات الحضارية وخدمة المصالح العليا للأمة الإســـلامية أنهـــا تختص بصفات ووظائف تميزها عن غيرها من أهمها:

* أنها جامعة حضارية، فالجامعة الإسلامية يفترض أن تكون لها وظيفة حضارية باعتبارها معقلاً ومحضنًا لثقافة الأمة وحامية لهويتها وحارسة لقيمها ومقوماتها الحضارية.

والجامعة الحضارية هي مؤسسة لمشاريع حضارية كبرى ولا ترتبط فقط بالنشاط المهني.

* أنها جامعـــة منتجة، فلا بد أن تضطلع الجامعة الإســـلامية بمهمة الإنتاج غير المـــادي، أي لا بد أن تملك القدرة على إنتاج المعرفة المفيدة على المســـتوى الحضاري وأن تسهم في إنتاج الشخصية الحضارية للأمة.

إن الجامعة المنتجة هي الجامعة المتفاعلة مع المجتمع من خلال مجموعة من الأنشطة المضافة لدورها التعليمي الأساس.

* إنها جامعة ذات رسالة، إذ لا يمكن فصل وظيفة الجامعة الإسلامية في إنتاج المعرفة الإنسانية في مختلف جوانبها عن الوظيفة الرسالية القاضية بخدمة الأمة وحماية قيمها وهو ما يتم من خلال توجيه حركة البحث العلمي التطبيقي والدراسات العليا نحو معالجة المشكلات و التحديات.

ولتحقيق ذلك لا بد أن تضطلع الجامعة بدورها المأمول في بناء الشخصية الحضارية للأمة من خلال ما يلي:

١ـ إيجاد النموذج الإسلامي للجامعة المعاصرة ذات الفلسفة والأهداف الإسلامية التي تلبي حاجات المجتمع والأمة.

٢- الاهتمام بتفاعل الجامعة مع حاجات المجتمع وتلبية خططه التنموية عن طريق التعليم الجامعي والبحث العلمي.

٣- بناء وتعميق وتطوير قيم التعامل الحضاري مع الآخر.

٤- الاهتمام بتوجيه البحث العلمي إلى النواحي العلمية والتطبيقية التي تخدم الأمة في بناء مقوماتها وحماية مقدساتها وإبراز شخصيتها الحضارية.

من جهة أخرى لا بد من الاقتناع بأن الجامعات الإسلامية ليست معاهد للعلم فحسب، وإنما هي منارات لإبراز صورة الإسلام الناصعة وحراسة الثوابت الدينية والمبادئ والمسلمات التي يقوم عليها الدين الحنيف، وبذلك تكون مسؤوليتها في بناء صرح الأمة الحضاري لا تعادلها مسؤولية أي جامعة لا تتوفر لها هذه الخصائص والمميزات. وبقدر عظم هذه المسؤولية تتعاظم الرسالة الحضارية للجامعات الإسلامية مما يدعو إلى تكثيف الجهود في اتجاه الاهتمام الواسع بالبناء الحضاري.

ويكتسي هذا الأمر أهمية قصوى في المرحلة الراهنة، حيث تسارعت الأحداث والتطورات التي جعلت الشأن الإسلامي في قلب الاهتمام الغربي، وأصبحت هناك حملات مناوئة للإسلام وحضارته بلغت درجة من التحدي المكشوف غير معهودة من قبل، مما أفرز تفاقما بالغا لظاهرة الإسلاموفوبيا يتطلب من الجامعات الإسلامية وقفة حازمة لرفض سياسة التخويف من الإسلام التي تبذلها الجهات الإعلامية الغربية الحاقدة مستغلة الظروف والمتغيرات الراهنة من أجل إثارة الأحقاد وتشويه صورة الإسلام والمسلمين الحضارية والإنسانية.

وإذا كان بعض الجهات الإعلامية الغربية ينهج سياسة التخويف من الإسلام وفق وسائل وأساليب رهيبة، فإن تبديد هذه الحملات يحتاج إلى قدرة فائقة على الإقناع بأن الإسلام لا يخيف ولا يشكل أدنى خطورة على الغرب، وأنه بالمقابل يدعو إلى التعايش والحوار والتعاون، ولا شك أن مهارة الإقناع والقدرة على التأثير في هذا المجال إنما تتأتى بصورة أوكد للكفاءات العلمية الجامعية والفعاليات الأكاديمية خاصة أن الدفاع عن الإسلام والحرص على تصحيح صورته ينبغي أن يكون علميا عالي المستوى وجيد الأداء وبعيدا عن الارتجال والانفعال،. كما أنه لم يعد مقبولا اليوم الاكتفاء برفع أصوات الإنكار والاحتجاج وإبداء الحماسة واتهام الآخر، بل لا بد من الاضطلاع بمواقف بنائية ودفاعية رصينة ذات طابع علمي وأكاديمي.

إن الذي يدفع إلى ترشيح الجامعات الإسلامية للقيام بدور فعال وناجع في مواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا المرتكزات الآتية:

١- توفر عدد هائل من الجامعات ومعاهد التعليم العالي بمختلف البلدان الإسلامية منها ما هو مرتبط بشؤون الدعوة وعلوم الإعلام ومنها ما هو مرتبط بالعلوم الإنسانية.

٢- تنوع الطاقات والفعاليات العلمية الجامعية المؤهلة للقيام بمهمة مواجهة ظاهرة التخويف من الإسلام.

٣- إمكانية التعاون والتنسيق المشترك بين مختلف جامعات العالم الإسلامي من خلال حشد الجهود وتعبئة القدرات واستثمار الخبرات.

٤- سهولة توظيف الوسائل والخدمات التكنولوجية المتاحة بفضل التطور الإعلامي والتكنولوجي وسرعة تدفق المعلومات وانتقال الأفكار.

وإذا كانت بعض الجهات الإعلامية الغربية المتحاملة والمسيئة للإسلام والمسلمين من خلال تكريس خطاب الكراهية والتخويف من الإسلام قد سعت في الدرجة الأولى إلى تحقيق أهدافها من خلال تشويه صورة الإسلام والحضارة الإسلامية عن طريق مختلف مكونات الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة، فإن مواجهة تلك الحملات ينبغي أن تكون بالسلاح الإعلامي ذاته، لذلك ينبغي أن يوضع الإعلام الإسلامي أمام واجباته بما يعزز مسؤوليته المهنية والأخلاقية من زوايا كثيرة.

ولا شك أن قطاع البحث العلمي الجامعي مطالب اليوم – أكثر من أي وقت مضى- باستغلال واستثمار الوسائل العصرية في الإعلام ونظم الاتصال والمعلوماتية من أجل تنفيذ خطة مواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا وخطاب الكراهية للإسلام والمسلمين.

وينبغي أن يكون الأمر قائمًا على الأسس التالية:

١- ربط العلاقة بين النشاط العلمي الجامعي والنشاط الإعلامي وتوثيق الصلة بينهما، فالإنتاج الجامعي في مجال مواجهة سياسة التخويف من الإسلام لا يمكن أن يتحقق له الانتشار في غياب الإعلام، لذلك تدعو الحاجة إلى وضع مشاريع تربوية وإعلامية تركز على التعارف ومواجهة جهل الآخر بثقافة الإسلام وحضارته.

٢- الارتكاز إلى دعامات موضوعية قوية تتضافر فيها خطط البحث العلمي الجامعي مع الخطط الإعلامية، فخطط البحث العلمي الجامعي في حاجة إلى توظيف القنوات الفضائية والصحافة المكتوبة باللغات الأجنبية وشبكة الإنترنت وغيرها، كما أن الخطط الإعلامية لا يكتب لها النجاح المطلوب في ظل غياب مادة علمية أكاديمية متخصصة في مجال مواجهة ظاهرة الخوف والتخويف من الإسلام.

٣- توفير المساندة الإعلامية المنظمة لمهام الباحثين الجامعيين سواء على مستوى التعريف والإعلام بإنتاجهم في هذا المجال أو على مستوى توفير المنابر الإعلامية الضرورية المكتوبة والمسموعة والمرئية.

٤- بحث سبل تعاون الجامعات الإسلامية مع الفضاء الإعلامي الإسلامي الذي يتخذ من العواصم الغربية مقرا له من أجل تخصيص برامج إذاعية وتلفزية للتعريف بحقائق الإسلام وخصائصه السلمية المتعايشة مع الآخر فضلا عن تصحيح صورة الإسلام وتحسينها.

٥- ربط أقسام الإعلام بالجامعات الإسلامية لجسور التعاون والتواصل مع رؤساء تحرير الصحف والمجلات والقنوات الفضائية الغربية بهدف الإسهام في تبديد عوامل الخوف من الإسلام وحضارته وتصحيح ما يكتب ويقال عن الإسلام قصد التنبيه إلى ما قد ينهجه الإعلام الغربي من محاولات التشويه والتمييع لحقائق الإسلام وحملات التخويف والتحريض على الكراهية.

٦- تعزيز التعاون المطلوب بين الجامعات الإسلامية والمنظمات والهيئات الإسلامية الرائدة في مجال خدمة الإسلام والمسلمين مثل رابطة العالم الإسلامي ورابطة الجامعات الإسلامية ومنظمة الإيسيسكو وغيرها.

٧- فتح قنوات التنسيق والتعاون بين الجامعات الإسلامية وقادة العمل الإسلامي في الغرب من أجل إنشاء منابر إعلامية باللغات المحلية يكون من ضمن اهتماماتها إبراز صورة الإسلام الصحيحة والعمل على مواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا وخطاب الكراهية ضد الإسلام والمسلمين.

أضيفوا الحب فهو العنصر الأهم لقوة

الهند

قراءة في مؤلفات الرئيس أبو الكلام

د. محمد منصور الهدوي
جمهورية الهند

عرضنا في عدد سابق من مجلة الرابطة كتاب (إشعال العقول) لرئيس الهند السابق الدكتور أبو الكلام أو (عبدالكلام)، ذلك الرجل الملهم الذي نرجو الله تعالى أن يكون قد آتاه من فضله (حكمًا وعلمًا). فبعد غاندي ونهرو لم يحصل زعيم هندي على التبجيل الشعبي الذي حصل عليه الرئيس أبوبكر زين العابدين عبدالكلام، حتى سُمِّي (رئيس الشعب)، وأطلق عليه البعض لقب (المهاتما) و(مهاتما الهند).. هذا إضافة إلى لقبه الشعبي الشهير وهو (الرجل الصاروخ) لأنه كان وراء البرنامج الصاروخي النووي للهند!

وللدكتور أبو الكلام مؤلفات متميزة عدة، اخترنا منها أكثرها ارتباطًا بحوافز النهضة للهند، وهي:

- إشعال العقول: إطلاق العنان للقوة في الهند.
- نقاط التحول: رحلة عبر التحديات.
- رحلتي: تحول الأحلام لأفعال.
- الهند عام ٢٠٢٠: رؤية للألفية الجديدة.
- التطورات في ميكانيكا السوائل وتقنية الفضاء.
- أجنحة النار: السيرة الذاتية.

كتاب إشعال العقول: إطلاق العنان لقوة الهند

ويشتمل الكتاب على حوارات هادئة وعميقة وتبادل فكري وروحي بين الرئيس الهندي الراحل الدكتور أبوبكر زين العابدين عبدالكلام، والزعيم الروحي لحركة (بابس سوامينا آريان) المعلم (سوامي).

من التراث الجميل لهذا الرجل أنه عندما تسلم رئاسة الجمهورية، وباعتباره أحد أكبر علماء الهند والعالم، فقد أراد إنجاز خطة تطوير وتحديث ونهضة للهند تقوم على

رؤية متكاملة وناجزة. ومن أجل ذلك فقد بادر إلى تشكيل فريق من أفضل العقول التي أنجبتها الأمة الهندية وعمل معهم بشكل يومي لإعداد الرؤية الاستراتيجية الهندية حتى عام ٢٠٢٠، وهي رؤية استراتيجية تقوم على ثمانية عناصر اعتبرت هي عناصر القوة للهند المستقبلية. وقد وضع الرئيس ملخصات هذه الرؤية لاحقًا في هذا الكتاب المهم.

وعندما اكتملت الرؤية التي أرادها، قام بزيارة صديقه ومعلمه الراهب (سوامي).. وعرض عليه ما توصل إليه هو وفريقه.. فأبدى الراهب الحكيم رضاه عن هذا الإنجاز ولكنه قال للرئيس: لقد فكرتم بكل شيء ووضعتم تصورات فائقة لكل شيء باستثناء شيء هو الوحيد الذي يمكن أن يجعل لكل هذه التصورات والرؤى معنى وحقيقة وجدوى..! إنه العنصر الأهم، وهو وحده الذي يستطيع أن يجمع بين كل عناصر هذه الرؤية، بل يجمع بين أفراد وفئات وطوائف الأمة الهندية حتى تستطيع أن تنجز النهضة..! تساءل الرئيس الهندي بدهشة ولهفة: وما هو هذا الشيء أيها الراهب الحكيم..؟ فقال الراهب: إنه الحب يا سيدي الرئيس..!

وأدرك الرئيس الذي كان يحمل خمس شهادات دكتوراه وأكثر من ٤٤ شهادة دكتوراه فخرية من أعرق وأعظم جامعات الأرض، أدرك ما يريده الحكيم الهندي فطلب من فريقه إضافة العنصر التاسع لقوة الهند القادمة، وهو الحب.

ويقول الرئيس عبدالكلام: إن الذين لا يستطيعون العمل بقوة الحب لا يحققون سوى نجاحات جوفاء مهما ظهرت كبيرة لأول وهلة، فالنجاح الذي يقوده القلب ويوجهه الحب؛ هو وحده القادر على نشر بذور السعادة في كل مكان حولنا.

لقد قامت أمم وحضارات على أفكار وثقافات متعددة ومتنوعة، ولكن ظل القاسم المشترك الأعظم لكل تلك الأفكار والثقافات والمبادئ والديانات هو الحب. اقرؤوا الإسلام وسوف تجدونه يقوم على الحب بين الله وعباده، وبين الفرد وربه، وبين الإنسان والمجتمع، وبينه وبين

الطبيعة من حوله. واقرؤوا المسيحية فسوف تجدون من أعظم مبادئها الحب، ومن أعظم آياتها (الله محبة)..!

ويضيف الرئيس أبو الكلام عن الحب أنه هو الشيء الوحيد الذي يزيد كلما أعطينا منه، وهو الشيء الوحيد الذي يصبح أكبر وأعظم كلما اقتسمناه، وهو الشيء الوحيد الذي نحتاج إليه لإنجاز كل شيء وصناعة كل شيء وبناء كل شيء..!

الحب هو الزيت الذي يملأ مصباح الحقيقة.. كما يقول طاغور، وبالحب نبني جسورًا تصلنا مع الناس أكثر مما نبني جدرانًا تفصلنا عنهم.. والحب ليس أن تحب امرأة، بل أن تحب كل الناس، بل كل البشر. والحب ليس أن تحب أرضاً بل أن تحب الأرض والحياة... أن تحب الكون بأسره وما فيه وما يحتويه.. والحب ليس أن تحب أقاربك وعائلتك وقبيلتك بل أن تحب وطنك..!

نقاط تحول: رحلة عبر التحديات

يعدّ هذا الكتاب تتمة لكتابه WINGS OF FIRE السابق الذي نشره عام ١٩٩٩، ولما كان له أثر كبير على حياة الناس وتغييرها نحو الأفضل، كتب أبو الكلام هذا الكتاب ليصف رحلته في الرئاسة وما فيها من اهتمامات وقلق وطموحات شعب الهند، وذلك ليكون هو أيضًا مؤثرًا

إيجابيًا على حياة الناس.

بدأ أبو الكلام كتابه بوصف اليوم الأخير له في الرئاسة، الذي كان حافلا باللقاءات والاجتماعات من المهنيين والعامة، ثم بيّن كيف أتاحت له فترة الرئاسة الفرصة لمقابلة كافة الناس من مختلف الخلفيات الثقافية والمهنية، وذلك للاستماع إلى أفكارهم وآرائهم بما يتعلق بقضايا تطوير البلاد، ثم ذكر استقباله لمئات الألوف من الرسائل الورقية والإلكترونية أثناء فترة الرئاسة، وكانت تصله من فئات الناس كافّة؛ من الأطفال الصغار والشباب والكبار، إلا أن ذلك لم يمنعه من محاولة الرد عليها جميعها. وكان يعمل على تحويل بعضها إلى المسؤولين المختصين في كل قضية، وأحيانًا كان يردّ بنفسه عليها. ثم يذكر نقاط التحول السبع في حياته: الأولى: عندما أصبح أول مهندس صواريخ في المنظمة الهندية لأبحاث الفضاء عام ١٩٦٢، فكان أول هندي يدير برنامجًا لإطلاق الأقمار الصناعية.

كانت الثانية عام ١٩٨٢، وذلك عندما دخل مجال الصواريخ الهندية من خلال برنامج DIWS أو ما يسمى بمعهد الدفاع لدراسة العمل. والثالثة كانت عام ١٩٩٢، وفيها أصبح مستشارًا لوزير الدفاع. والرابعة مشاركته في التجارب النووية عام ١٩٩٨. والخامسة كانت في نهاية ١٩٩٩عندما أصبح مستشارًا للعلوم لحكومة الهند. وعن هذا اليوم يقول: «أنا أؤمن دومًا أن الجبناء لا يستطيعون كتابة التاريخ، فلا يكتبه سوى من يملك الشجاعة والحكمة، فالشجاعة تأتي من النفس، أما الحكمة فمن الخبرة، وتمكّن في تلك الفترة من تأليف كتابه Ignited minds. والسادسة عندما عمل أستاذا في جامعة آنا للتقنية، وأما الأخيرة فكانت تنصيبه رئيسًا للبلاد.

رحلتي: تحويل الأحلام إلى أفعال

نشر عبد الكلام مذكراته الموسومة «رحلتي: تحويل الأحلام إلى أفعال» في كتاب صغير عام ٢٠١٣. ويمكن النظر إلى هذا الكتاب - المذكرات - على أنه استذكارات جميلة لتفاصيل صغيرة لم يأت أبو الكلام على ذكرها في سيرته الذاتية المنشورة في الكتابين السابقين، وثمة القليل من الاستذكارات والحوادث في هذه المذكرات أشار لها الرجل في سيرته ولكن في سياق تقريري يذكر بالوقائع، أما هذه المذكرات فإن القارئ يستشعر منذ البداية العاطفة الجياشة التي تفعم روح الكاتب وتفيض من عقله. وهو يأتي على ذكر تفاصيل إنسانية شفيفة وملهمة؛ ساهمت في تشكيل وعيه المبكر وشخصيته الإيثارية ذات الطموحات الملحمية العابرة للذات والساعية لتكريس الهند كقوة عظمى في الساحة العالمية.

يقول أبو الكلام في مقدمة المذكرات: «تحكي رحلتي هذه تجارب مميزة ومحددة من حياتي، ابتداءً من طفولتي وحتى اليوم، حيث تجاوزت الثمانين (توفى سنة ٢٠١٥). وفي كل سنوات حياتي تلك وخلال كل التجارب التي مررت فيها كان الدرس الأكثر أهمية الذي تعلمته هو أن المرء ينبغي أن يواصل الحلم في كل الأطوار المختلفة من حياته، ومن ثم يعمل بجدية ومثابرة في سبيل تحقيق تلك الأحلام، ونحن إذا ما فعلنا هذا فإن النجاح سيكون قريبًا من التحقق لا محالة، أقول دائمًا للكثيرين الذين أقابلهم (الأحلام ليست ما نراه في منامنا، بل هي بالضبط ما ينبغي أن يجعلنا لا ننام أبدا».

الهند ما بعد ٢٠٢٠.. رؤية مستقبليّة

يقدّم كتاب «الهند ما بعد العام ٢٠٢٠» في إطار برنامج «حضارة واحدة»، مسيرة النموّ في الهند في القرن الحادي والعشرين وتحدّياته، والفرص الجديدة والتكنولوجيّات الناشئة، التي تجعل النموّ أكثر سرعة وشمولاً.

ويقدّم رؤية مستقبلية للإصلاحات المتوقّعة في الهند في مجال تحسين وضع التعليم، وخلق الوظائف، والتنوّع البيولوجي، وإدارة النفايات، والأمن القومي وغيرها من المجالات والملفّات. والكتاب من تأليف شخصيّتين رائدتين في تطوّر العلوم في الهند، أحدهما: الرئيس أبوبكر زين العابدين عبد الكلام، ويتألّف من خمسة عشر باباً، ويتضمّن أفكاراً ومقترحات لدفع الهند نحو التقدّم، عن طريق إنجاز الأعمال العملاقة في مجال الصناعات والخدمات والزراعة، ويسلّط الكِتاب الضوء على الإنجاز الكبير الذي حقّقته الهند في القضاء على شلل الأطفال بنجاح، إلّا أنّ الحفاظ على هذا الإنجاز يبقى مهمّة تحمل القدر نفسه من التحدّي.

ويوضح المؤلّفان أنّ الحكومات المتعاقبة التزمت على مدى الستّين سنة الماضية بتحقيق الهدف الوطني المتمثّل في التعليم الشامل، وزادت من مخصّصات الميزانية للتعليم بثبات.

وهذا الكتاب يُعدُّ وثيقة رؤية للألفيّة الجديدة لرسم صورة الهند، وكيف يُمكِن لها أن تصبح واحدة من أكبر خمس قوى اقتصادية في العالم بحلول العام ٢٠٢٠. ويؤكّد الكتاب على أنّ القرن الحادي والعشرين سيكون شاهداً على هندٍ جديدة متطوّرة، إذا عمل الناس جميعهم بجدّيّة مع القيام بجهد مستمرّ وسعي متواصل لتحسين أوضاعهم وتحويل الهند إلى بلد أحلامهم. وينتهي الكتاب برسم المهمّة التي تتلخّص في خطّة عمل من أربع نقاط، تشمل: تأمين المياه لكلّ المناطق، والعمل من أجل الرخاء الاقتصادي المستدام، وحيازة القيم النبيلة.

كتاب التطورات في ميكانيكا السوائل وتقنية الفضاء

هذا الكتاب من باكوراته، ويسلّط الضوء على مراحله التعليمية ومدارج العمليات الإنمائية، خاصة فيما يتعلق بدراسته الفيزياء بجامعة مدراس وتخرجه فيها عام ١٩٥٤، ويتحدث فيه عن ولوعه في عام ١٩٥٥ بدراسة هندسة علوم الفضاء. وعندما كان يعمل في مشروعه الدراسي كان عميد الكلية غير راضٍ عنه بسبب عدم إحرازه تقدمًا في مشروعه العلمي المكلف به، وهدده بإلغاء منحته الدراسية إلا إذا أنهى مشروعه على الوجه المطلوب ومنحه ثلاثة أيام فقط مهلة. وعمل أبو الكلام في مشروعه ليلا ونهارًا بشكل متواصل خلال هذه الأيام الثلاثة حتى حقق ما طُلب منه، مما أبهر عميد الجامعة الذي قال فيما بعد: (... إنني وضعتك تحت ضغط وطلبت منك مواجهة مدة زمنية قصيرة صعبة).

ويكتب: بعد تخرجه في معهد مدراس التقني (إم. آى. تي - تشيناي) في عام ١٩٦٠، انضم أبو الكلام لمؤسسة تطوير الطيران التابعة للمنظمة الهندية لأبحاث وتطوير الدفاع (DRDO)، وبدأ عمله بتصميم طائرة هليكوبتر صغيرة للجيش الهندي، ولكن هذه الوظيفة لم تلائم طموحاته ولم يستمر بها، ثم صار عضوًا في اللجنة الوطنية الهندية لأبحاث الفضاء بقيادة عالم الفضاء الفيزيائي الهندي فيكرام سارابهاي.

وتابع: في عام ١٩٦٩ انتقل أبو بكر أبو الكلام إلى منظمة البحوث الفضائية الهندية المعروفة باسم «آيسرو» (ISRO)، حيث أصبح مديرًا لمشروع أول مركبة إطلاق للأقمار الاصطناعية (SLV - III). واستطاع بنجاح إطلاق القمر الاصطناعي الهندي «روهيني» ووضعه في مداره حول الأرض في شهر يوليو عام ١٩٨٠، ويردف في الفترة ما بين عام ١٩٦٣ و ١٩٦٤عن زيارته مركز أبحاث لانغلي التابع لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا في هامبتون بولاية فرجينيا، ومركز غودارد لرحلات الفضاء في غرين بلت بولاية ماريلاند بالولايات المتحدة الأمريكية ومنشآت «والوبس» لرحلات الفضاء في الساحل الشرقي بولاية فرجينيا، مما أدى إلى نقطة مفصلية في مجال تطويره مركبة إطلاق الأقمار الاصطناعية القطبية، وهي نظام إطلاق موسع تسمح للهند بإطلاق أقمار الاستشعار عن بعد في مدارات معينة بالفضاء، بالإضافة لمشروع نظام إطلاق الأقمار الاصطناعية (SLV - III)، وكلا المشروعين تحققا بنجاح.

أجنحة من نار: السيرة الذاتية

سيرة حياة فريدة من نوعها لشخص ينتقل من حياة ريفية بسيطة، ليصبح أحد أبرز الشخصيات الهندية المعاصرة، من مدير مشروع الصواريخ الهندية إلى الرئيس الحادي عشر للهند. إنها سيرة ملهمة ومليئة بالمحطات نتعرف من خلالها على كفاح الدكتور أبو بكر زين العابدين أبو الكلام أو (عبد الكلام) على الصعيدين الشخصي والمهني، وأيضاً كيف أصبح هذا الكفاح جزءاً من الوعي الهندي والهوية الوطنية الهندية.

الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب:

الرابطة في طليعة المؤسسات الحضارية والدينية في العالم

حوار: توفيق محمد نصر الله

التقت مجلة الرابطة بفضيلة الدكتور محمد العبادي، الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية، الأستاذ بجامعة القاضي عياض بمراكش وجامعة محمد الخامس، وغيرها من الجامعات العالمية. استضفناه في هذا الحوار وناقشنا معه عددا من القضايا، منها مستوى الطالب الجامعي وإعداد المعلم، والأنشطة التي تقوم بها الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب، خاصة اتفاقية التعاون بينها وبين رابطة العالم الإسلامي، والإنجازات التي حققتها رابطة العالم الإسلامي أخيرًا في عهد معالي أمينها الشيخ الدكتور محمد العيسي.

وسألنا الضيف الكريم عن الجهود التي قاموا بها لمواجهة الفكر المتطرف والتطرف المضاد الإسلاموفوبيا ودور وسائل التواصل الاجتماعي في استقطاب الشباب والتغرير بهم، والحوار بين أتباع الأديان والحضارات والثقافات وكيف يمكن تعزيزه، فإلى نص الحوار:

• بداية نرجو تعريف قراء مجلة الرابطة على بطاقة فضيلتكم الشخصية.

الدكتور أحمد العبادي، الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية. عملت أستاذا بجامعة القاضي عياض بمراكش وجامعة محمد الخامس، وأستاذا زائرًا في جامعات عالمية كجامعة شيكاغو وجامعة ديبور وغيرهما من الجامعات. لي عدد من المؤلفات، منها (الإسلام وهموم الناس)، و(منهج ابن الجوزي في التفسير من خلال زاد المسير في عالم التفسير)، و(منهج الترتيل في القرآن الكريم النظرية والمنهج)، و(الوحي والإنسان: نحو استئناف التعامل المنهاجي مع الوحي)، و(المسلمون وحقوق الإنسان)، و(العالم: قراءة في المستلزمات المعرفية والمقتضيات السياقية وآليات التعاطي)، إضافة إلى مقالات علمية

عدة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية منشورة في مجلات محكمة وطنية ودولية.

• كأستاذ جامعي بجامعة القاضي عياض وجامعة محمد الخامس ما مدى رضاك عن المستوى الحالي للطالب الجامعي؟

لدينا الكثير من القصور الذي ينبغي أن نستدركه، وهو قصور له أسبابه، من أبرز هذه الأسباب وآكدها غياب التنسيق وغياب النظر الوظيفي للتكوينات، فالتكوين ينبغي أن يكون في الجامعة وظيفياً يلبي حاجات بينة ومعروفة عند المجتمع وإلا فإن الجامعة لا تكون مطلعة بأدوارها الحقيقية، وهذا يحتاج إلى مقاربة إستراتيجية لكي نستبق معالم المشروع المجتمعي الذي نريد أن نحققه. الجامعة ذراع من الأذرع القوية التي تروم تحقيق هذه المشاريع المجتمعية، والتكوينات ينبغي أن تستجيب لمقتضيات هذه الخطة الإستراتيجية التي تلبي حاجات محددة من حيث الكفايات والمهارات التي ينبغي إعدادها للنخب التي سوف تشرف على تسيير المجتمعات بشكل راشد وناضج.

❖ عملت أستاذا بجامعة القاضي عياض بمراكش وجامعة محمد الخامس وأستاذا زائرا في عدد من الجامعات العالمية

❖ الرابطة المحمدية للعلماء لها ثلاثون مركزا ووحدة بحثية تغطي العلوم الكبرى في الإسلام وعددها ثمانية عشر علما

• وما مدى رضاك عن مستوى الأستاذ الجامعي وإعداده؟

نحتاج إلى معلمين أكفاء كما نحتاج إلى أن نحدث هذه التكوينات، وأن نجدد هذه المهارات من خلال تكوينات مستمرة، وأن نشجع البحث العلمي الوظيفي الذي يلقي الضوء على مناطق العتمة ذات الصلة

❖ **الفكر المتطرف يقوم على جملة من الأحلام وفي مقدمتها حلم الوحدة وإقامة الخلافة**

❖ **اتفاقية التعاون تهدف إلى نشر خطاب إسلامي مستنير في مواجهة الفكر المتطرف وشعارات التصنيف والإقصاء**

بمشروعاتنا المجتمعية في مجتمعاتنا الإسلامية بشكل عام.

• ماذا عـــن الرابطة المحمدية للعلماء بالمملكة المغربية من حيث نشأتها وأهدافها وأهم الأنشطة التي تقوم بها؟

هي مؤسســـة دينية مغربية مقرها الرباط، تتكون من المجلس الأكاديمي الذي يكلف بالشـــؤون العلمية للرابطة، ويتـــداول في جميع القضايا المتعلقة بمهامها ويتخـــذ جميع القـــرارات التي تمكنهـــا من تحقيق أهدافها؛ من مكتـــب تنفيذي يكلـــف باتخاذ جميع التدابير الضروريـــة لإعداد مقررات المجلس الأكاديمي بعد المصادقة عليها. وتأتي هذه المؤسسة ضمن هيكلة المجال الديني في المملكة المغربية الذي يقوم على ســـتة أركان سارية العماد فيها، هي: مؤسسة إمارة المؤمنين التي يرأسها ســـيدي صاحب الجلالة – حفظه الله – وهذه المؤسســـة هي في الآن ذاته دينية لأنها قائمة على البيعة، وهي مؤسسة دســـتورية، ينص عليها دستور المملكـــة المغربية ولها ســـلطتها ولهـــا أدوارها، وفي مقدمتها الإشراف على أمـــر الدين وحماية الملة والدين في المملكـــة المغربية، وهي قائمة على بيعة شرعية، هذه المؤسسة تعتمد على المجلس العلمي الأعلى، والذي يرأسه أيضا جلالة الملك، وضمن هذا المجلس الأعلى هيئة عليا للإفتاء تقوم على تيســـير وضمان القرب من المواطنين والمواطنات بحيث إذا أشكل عليهم أمر إرشاد أو فتوى فإنهم يتوجهون إلى هذه المؤسسة بمجالسها الثمانين والمنتشرة في ربوع المملكة.

أما المؤسسة الثانية فهي مؤسسة الرابطة المحمدية للعلماء، وهي تعنى بشؤون البحث العلمي والعكوف على القضايا ذات الصلة بالديـــن عبر مراكز وحداتها البحثية، والتي يبلغ عددها ثلاثين مركزا ووحدة بحثية. وهذه المراكز تغطي العلوم الكبرى في الإسلام وعددها ثمانية عشر علماً. والمراكز التي تكلف وتشرف على هذه المجالات هي خمســـة عشر مركزًا. وبعض هذه المراكز تجمع بين الفقه وأصولـــه وأخرى تجمع بين الحديث والسيرة. وهكذا تنتظم هذه العلوم الثمانية عشر ضمن المراكز الخمســـة عشر، أما الوحـــدات الأخرى، وهي خمـــس عشرة وحدة بحثية تـــروم الحراك في المجتمع آخذة بعين الاعتبار أن هذا المجلـــس ليس كتلة وإنما هو طبقات وفئات، فعنـــدك الأسرة، وعندك الطفولة، وعندك اليافعون، وعندك الشـــباب، وعندك المؤثرون، وعندك المنظمون، وعندك الملهمون، وعندك المســـيرون في هذه المجتمعات. فالرابطة المحمدية للعلماء من دفتر تحملاتها أنها تعد الخطاب الديني الذي يوجه لمختلف هذه الفئـــات، فمثلا الطفولـــة لا يمكن أن نحاضرها وإنما لا بد أن نلعب معها لكن هذه الألعاب ينبغي أن تكون ألعابًا تربوية كالفيديوهات مثلا التي أنشـــأتها الرابطـــة المحمدية للعلماء، فيها قيم معينة، فمرة تجد قيمة الوســـطية والتعارف والتسامح، ومرة تجد قيمة الصدق ونبذ الغش، وهكذا تفرغ هذه القيم في ألعاب، أما اليافعون فـــلا بد أن نكون موجودين من أجلهم في الألعاب الرقمية على التطبيقات المتصلة بهذه الأنماط الجديدة للاتصال كالوتس اب، والجيمو، والفيس بوك، وغيرها، ولدينا أخصائيـــون يشرفون على هذه الأمور بحيث لا يبلور الخطاب إلا بما يتسق مع هذه الحاجات. ثم لدينا مؤسسة القرويين، وهي تعنى بالتكوين العلمي والعلمائي ضمن مؤسساتها الكثيرة، وكما تعلمون فإن جامعة القرويين هي أقدم جامعة إسلامية في عالمنا على الإطلاق. كما لدينا أيضا المؤسسات التي تعنى بالتأطير التربوي، وهي منتشرة في ربوع المملكة المغربية، ولدينا وزارة الأوقاف والشـــؤون الإسلامية، وهي تشرف على المساجد والأئمة والقائمين عليها وتشرف على مؤسسات

❖ لدينا المؤسسات التي تعنى بالتأطير التربوي وهي منتشرة في ربوع المملكة المغربية

❖ هناك أناس ذوو نيات حسنة تم التغرير بهم ووقعوا في براثن الفكر المتطرف المدمر

لتكوين الخطباء والمرشـــدين والمرشدات وغيرها من الجوانـــب الإعلامية، كإذاعة محمد الســـادس للقرآن الكريم، ومحطة محمد الســـادس التلفزيونية، ووزارة الأوقاف هي ركن من هذه الأركان الستة بالغة الأهمية.

وهكذا تسعى الرابطة إلى التعريف بأحكام الشرع الإســـلامي ونشر مبادئ الوسطية والاعتدال والمساهمة في تنشيط الحياة العلمية والثقافية في مجال الدراسات الإسلامية وتوثيق أواصر التعاون والتواصل بين العلماء والمفكرين والهيئات العلمية.

• كيف ترون الإنجـــازات التي حققتها رابطة العالم الإســـلامي في عهد أمينها معالي الشـــيخ الدكتور محمد العيسى؟

معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، حفظه الله، تمكن من التجديـــد في أداء هذه المؤسســـة الغراء من خلال الارتـــكاز على الدين الإســـلامي في أصالته، وأيضاً من خلال الانفتاح على الديانات والحضارات كافة في عالمنا لمد الجســـور بين الحضارات تحقيقاً لقول الله تعالى: «يا أيها النـــاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير» ونتيجة لكل هذه الجهود التي حققها

معاليه فقد حصلـــت الرابطة على جملة من الاعترافات من خلال جملة من التكريمات والتتويجات التي حصل عليها معاليه، والتي استحقها بجدارة.

• وماذا عن اتفاقية التعاون بين رابطة العالم الإسلامي والرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب التي جرى التوقيـــع عليها خلال زيـــارة معالي الأمين العام؟

هي اتفاقيـــة في مجال العمـــل البحثي والفكري وتبادل البيانـــات والمعلومات، بهـــدف نشر خطاب إسلامي مستنير في مواجهة الفكر المتطرف وشعارات التصنيف والإقصـــاء. وتتضمن مجالات عدة للتعاون المشترك، تشـــمل إجراء البحوث العلمية والدراسات المشتركة في الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، وتوجيه الدعوات المتبادلة للمشاركة في الفعاليات التي ينظمها أو يشـــارك في تنظيمهـــا كل طرف، مثـــل الندوات والمؤتمرات وحلقات النقـــاش والبرامج الثقافية التي تتضمن إلقاء محاضرات وإجـــراء حوارات، والبرامج والدورات التدريبيـــة وورش العمل المتعلقة بتطوير العمل، إضافة إلى التوثيـــق وتبادل المعلومات وتبادل الخبرات في مجال الدراســـات والاستشارات التنظيمية والإداريـــة، وجاءت هذه الاتفاقيـــة تتويجًا لفعاليات المؤتمـــر الدولي الذي نظمته رابطة العالم الإســـلامي بالتعاون مع رابطتنا، الرابطة المحمدية للعلماء، تحت عنوان (تفكيك خطـــاب التطرف)، والذي كان برعاية جلالة الملك محمد الســـادس ملك المملكة المغربية – حفظه الله- وفي إطار تعزيـــز البرامج العالمية، حيث أصبحت رابطة العالم الإســـلامي في طليعة المؤسسات الحضارية والثقافية والدينيـــة حول العالم بوصفها مظلة للشعوب الإسلامية.

• الفكر المتطرف والتطرف المضاد الإسلاموفوبيا ما أسبابهما برأيك وما أنجح السبل لمواجهتهما؟

الفكر المتطرف له أســـباب كثـــيرة وفي مقدمتها ـ ويجب ألا ننسي هذا أبدا ـ المصالح الحرام المنبوذة التي اتصلت بهـــذا الفكر المتطرف، فهناك أنهار من الأموال من تهريب الأسلحة والأعضاء والأمور المتصلة بالميراث الثقافي وتهريب المخدرات وتهريب الســـلع والبضائع في منطقة الســـاحل وفي منطقة جنوب شرق آسيا وفي غيرها من المناطق، هناك مصالح تقوم عليها شـــبكات من المرتزقة وهذه الشبكات قد ابتلعت الذين أطلقوا هذا الفكر المتطرف، حيث لم يعد يظهرون إلا لماما، وهناك أيضا ذوو نيات حسنة من الذين تم التغرير بهم ووقعوا في براثن هذا الفكر المدمر، وهناك أيضاً شباب يعتبرون للأسف الشديد من قبل هؤلاء المرتزقة والمطلقين لعنان هذا الفكر المتطرف بمثابة حطب هذه الآلة المدمرة. أما الإسلاموفوبيا فمنها جانب يتصل بالاتهام الباطل لهذا الدين واتهامه بأنه عنيـــف، ومميز ضد المرأة، ولكونه فيه بعض المظاهر ذات الصلـــة بالتدبير والحكم وإلى غير ذلك من الاتهامات عن حقوق الإنســـان والحريات وغيرها، وهـــذه كلها أمور من الســـهل تفنيدها، وقد أشرفت المؤسسات العلمية القائمة على إيضاح حقيقة هذا الدين كمـــا أشرفت على تفنيد هـــذه الأمور وعلى الرد على كل هذه الشـــبهات، والفكر المتطرف ينبغي ألا ننسي أنه يقوم عـــلى جملة من الجاذبيات والأحلام، وفي مقدمتهـــا حلم الوحدة وإقامـــة الخلافة، ثم حلم الكرامة، وحلـــم الصفاء أي التديـــن بالمنهج النبوي، وحلم الخلاص، وهو أن هذه هي نهاية الزمان ويجب الالتحاق بالطائفة المنصـــورة والفرقة الناجية، وحلم الســـيطرة على الوضع، حيث إنهم يقدمون الثنائيات الحلال والحرام، الجنة والنار، الخطأ والصواب، الحق والباطل، الصلاح والفساد، إلى غير ذلك من الأمور التي يروج لها أهل عدم التشـــمير الذين يميلون إلى الكسل الفكري من أجل الترويج عن عقولهم ووجدانهم التي قد يتعبها تعقيد الزمن الحديث، ولا شـــك أن مثل هذه الأحلام يجـــب أن تواجه وتجابه بأحلام أقوى لأن هذه الأحلام فيها جانب له أصول في الدين الإسلامي ويجب أن تؤخذ وأن تجلى بمنهج الوسطية والاعتدال الذي كان هو منهج سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

• ما الجهود التي قمتم بها لمواجهة ومحاربة هذا الفكر المتطرف؟

عملنا بفضل الله أشـــياء محمـــودة كثيرة، فلدينا مؤسسات تعمل ليل نهار وعلى قدم وساق، فيها الظفر بين البعد الأمني والبعـــد الاقتصادي والبعد الوجداني والبعد العلمي والبعد التعليمي التربوي بشكل متضافر للإجابة عن هـــذه التحديات الجادة، لدينا أيضا أعمال نقوم بها داخل السجون مع العائدين الذين عادوا من مناطق الصراع والاحتدام، ولدينا مؤسسات تتابع هذه الشبهات، ولدينا أيضا مؤسســـات تعمل مع الأطفال ومع اليافعين مـــن خلال الرســـوم المتحركة وألعاب الفيديو وتعمل في مدارس التعليم العام لتثقيف الطلاب وإطلاق برنامج التثقيف بالنظير، حيث يثقف الشباب نظراءهم الشباب، والأطفال نظراءهم الأطفال، بشكل يقوم على مضامين معتدلة وقوية.

• مـــا دور وســـائل التواصـــل الاجتماعي في استقطاب الشباب والتغرير بهم؟

دورهـــا خطير ومحـــوري، لأن مواقـــع التواصل الاجتماعي الحديثة أصبحت هي القبائل التي ينتظم في إطارها اليافعون والشباب، لذا يجب علينا أن نكون في هذه المواقع من أجلهم بمضامين لها جاذبية ومضامين تجد صدى في عقولهم وتجـــد تجاوبا مع انتظاراتهم، وإلا فإننا نكون قـــد فرطنا في هذه الفئة العريضة من الشباب.

• الحـــوار بين أتبـــاع الأديـــان والحضارات والثقافات كيف ترونه، وكيف يمكن تعزيزه؟

الحوار بين أتبـــاع الأديان هو اضطلاع بتوجيه الله عـــز وجل لنا من خلال الآية الثالثة عشرة من ســـورة الحجرات «يا أيها النـــاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليـــم خبير»، ولا يمكن الاضطلاع بهذا الأمر الذي يفيد الوجوب إلا بـــأن نتعرف على ديانات الناس لكي نعرف ما هي همومهم وأسئلتهم الحارقة لكي نقدم لهم من هذه الأصول الدينية الإســـلامية ما ينبغي من إجابات عن هذه الأسئلة وعن هذه القضايا، ولا شـــك أن هذا يحتاج إلى بنـــاء الكفايات والمهارات العلمية والبحثية حتـــى لا يكون الكلام مجرد خطابة ووعظ وإنمـــا ينبغي أن يكون نوعا من الطرح العلمي الرصين، ولكي يكون لدينا من ناشـــئتنا أو من هؤلاء الشـــباب الباحثين وغيرهم من يســـتطيع أن يغوص بالفعل في المرجعيات الدينية ويقف على هذه التساؤلات وهذه الانتظارات لكي يســـتجيب لها علميا وبشـــكل رصين فيه مراعاة للمنطـــق الداخلي لهذه الحضارات وهذه الديانات، وأنا مغتبـــط كثيرا بما يقوم به معالي الأمين العام الأخ الكبير معالي الشـــيخ الدكتور محمد بن عبد الكريـــم العيسي بهذا الصدد، وســـعيد جدا بالشراكة بين مؤسستينا في هذا الخصوص، ونسأل الله أن تســـتجيب الجامعات لهذه النداءات المتكررة حتى تصبح لدينا أقسام ماجســـتير ودكتوراه لأنها بحاجة إلى هذا الحقل العلمـــي والمعرفي والمنهاجي في المجالات الحوارية والتعارف بين الأديان والحضارات.

• كيف تلقيتم نبأ تدشين جائزة المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي التي أعلن عنها في الدورة الرابعـــة والأربعين للمجلس الأعـــلى للرابطة وما انعكاسها على البحث العلمي في المجال الفقهي؟

تلقيت هـــذا النبأ بسرور بالغ لأنه ســـوف يحفز علماءنا الأبرار لمزيد من بذل الجهد المنهج لاستحقاق هذا التكريم البالغ الذي يفـــوق جانبه المعنوي، وهي التفاتة طيبة من الرابطة تعكس اهتمام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين بالعلماء والفقهاء والباحثين ورعايتهما لهم. نســـأل الله أن تؤتي أكلها من خلال التشجيع والتحفيز.

المالية الإسلامية بعيون غربية

بقلم: جان ميشيل هويت، وصالح الشرقاوي، وأوغسطين كولاس
المصدر: cairn.info ترجمة: منير كمون

ما هي الروابط التي يمكن أن توجد بين الشريعة وداو جونز؟ بين ولاية (سكسونيا أنهالت) الألمانية والأسواق المالية في دبي؟

قد تتضمن الإجابة حافزًا ومصدرًا للنمو في السنوات القادمة. التمويل الإسلامي مجال لا يزال غير معروف للشركات، مع أنه يتطور بسرعة في دول الخليج وجنوب شرق آسيا وأكثر في أوروبا وإفريقيا، وهو نظام يعتمد على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في القطاع المصرفي والأسواق المالية العالمية بشكل عام.

تطور غير متكافئ

في حين أن مبادئ وممارسات المالية الإسلامية قد استخدمت منذ قرون من قبل التجار في البلدان الإسلامية، فإن انتقالها إلى القطاع المصرفي وإضفاء الطابع المؤسسي عليها لم يحدث إلا في الآونة الأخيرة. غالبًا ما تُنسب نظرية المالية الإسلامية إلى علماء معاصرين في باكستان ومصر، وأول إنجاز على أرض الواقع كان على يد المصري أحمد النجار عندما أنشأ بنك ميت غمر للادخار عام ١٩٦٣. وأثار نجاح هذه المؤسسة الشكوك وتم تأميمها في عام ١٩٧٢ لتصبح بنك ناصر الاجتماعي، وخسر شيئًا فشيئًا خصوصيته. وفي الستينيات بدأت ماليزيا في تطوير نشاط مشابه من خلال إنشاء صندوق إدارة الحجاج المعروف بـ(تابونغ حاج).

لكن ومع أول ازدهار نفطي شهدنا الازدهار الحقيقي لهذا النظام المصرفي. فقد أثر ارتفاع أسعار النفط على الفور في وجود السيولة الكبيرة التي أدت إلى نمو المصرفية الإسلامية.

وهكذا بدأ إنشاء البنك الإسلامي للتنمية عام ١٩٧٥، وبنك دبي الإسلامي. ثم في عام ١٩٧٧ نشأ بيت التمويل الكويتي. ولا تزال هذه البنوك هي البنوك الإسلامية الخمسة عشر الأعلى مرتبة حسب إجمالي الأصول. لقد بدأت محاولات التوفيق بين النظام المالي التقليدي وبين المالية الإسلامية منذ فترة وجيزة، ففي عام ١٩٧٩ قرر السودان المضي في الأسلمة الكاملة لنظامه المالي، واتخذت باكستان هذا القرار أيضًا، لكن الدولة لم تكن قادرة على ضمان هذا الانتقال.

ظهر نموذج آخر فيما يتعلق بالتمويل الكلاسيكي في التسعينيات: وهو نموذج النوافذ الإسلامية، وتتمثل الفكرة في إنشاء (أقسام إسلامية) داخل البنوك التقليدية، جرى تنفيذها أولاً في البنوك العربية ثم سارت على منوالها البنوك الأوروبية التي تأسست في الشرق الأوسط.

أدت التدفقات المالية في السنوات الأخيرة إلى زيادة السيولة في منطقة الخليج، مما عزز نمو الصناعة المالية الإسلامية، وظهور منتجين جدد، مما يشير إلى أنه يتعين تطوير أسواق جديدة.

وبرزت إلى الوجود منتجات مالية جديدة، وهي الصكوك اعتبارًا من عام ٢٠٠١، وهي تقترب من مواصفات المصرفية الغربية، ولم يلبث أن تحول الابتكار في هذا القطاع جغرافيًا نحو آسيا. وبرزت ماليزيا سريعًا كرائد في هذا المجال لأنها سرعان ما أصبحت أكبر مصدر للصكوك. يشهد هذا المنتج تدويلًا بدأته ولاية (سكسونيا أنهالت) الألمانية، التي كانت أول جهة أوروبية تنفذ هذا النوع من الإصدارات. ويؤكد نمو إصدارات هذه الصكوك على طبيعة المنتج الجذابة.

أما المنتج الثاني، فهو التأمين التكافلي الذي يجعل من الممكن تكييف مفهوم التأمين مع أحكام الشريعة الإسلامية، ولكن التعامل به حساس للغاية، مما يمنحه قوة وضعفًا في الوقت نفسه. نقطة الضعف فيه هي الافتقار إلى عدم وجود تنظيم دقيق له، والقوة هي أن هـذا المنتج على الرغم من أنه لم يُستكشـف بعد غير أنه يوفر فرصًا تسويقية مثيرة للاهتمام، وهو يعتمد على مبدأ التجميع والتقاسـم العادل للمخاطر والأرباح.

جغرافيا المالية الإسلامية

لقد شهدت دول الخليج تطور التمويل الإسلامي أكثر من غيرها، ولقد شجعت السياسات الإسلامية في هذه البلدان على بروز هذا النوع مـن التمويلات، فهناك مثلاً: مصرف الراجحي وبنك الجزيرة في المملكة العربية السعودية، وبنك دبي الإسلامي وبنك أبوظبي الإسلامي في الإمارات العربية المتحدة، وبيـت التمويل الكويتـي في الكويت. إلى جانب المؤسسـات المصرفية الكبرى مثل: البنك الإسلامي للتنمية، ومقره في جدة بالمملكة العربية السعودية، واحتفظت مملكة البحرين بمؤسسـات ترعى النظم المعيارية للمؤسسـات المالية. وتمثل منطقة الخليج أيضًـا قوة دافعة من حيث الابتكار الاسـتثماري، إذ إن المنتجات المقدمة للمستهلكين تتوسع خاصة مع وصول التأمين الإسلامي أخيراً، والدولتان الأضعف في المنطقة هما اليمن وعمان، ففي عُمان تم وقف نشاط أول بنك إسـلامي عام ٢٠١١. أما في اليمن، فيقول ٣٪ من السكان فقط إنهم يسـتهلكون منتجات التمويل الإسلامي.

جنوب شرق آسيا

سـمحت المشـاركة القوية للدولة الماليزية في تطوير التمويل الإسـلامي لهذا البلد الذي يبلغ عدد سكانه حوالي ٣٠ مليون نسمة بأن يصبح معقلًا للمالية الإسلامية، وتم فتح البنوك الإسـلامية أمام الاسـتثمار الأجنبي من أجل السماح بنموها.

وتتمتـع الدولة بوضع مميز فيمـا يتعلق بالصكوك، ففي عـام ٢٠١١ أصدرت ماليزيا حـوالي ٧١ ٪ من هذه الإصـدارات العالمية لهذه المنتجات بما يقرب من ٦٠ مليار دولار أمريكى. هـذه الهيمنة الماليزية هـي أيضًا رصيد اسـتراتيجي في هذا القطاع، حيـث إن المهارات فيه نادرة والخبرة مطلوبة.

كما اسـتفادت إندونيسيا، أكبر دولة إسلامية في العالم (يبلغ عدد سـكانها المسـلمين ٢٠٤ ملايين نسمة، قبل باكسـتان والهند)، من دينامية جارتهـا ماليزيا لتطوير تمويلها الإسـلامي، كما اسـتفادت أيضـا هونج كونج وسنغافورة، باعتبارهما مركزين ماليين رئيسيين في جنوب شرق آسيا، من الحماس الإقليمي للتمويل الإسلامي.

شمال إفريقيا

على الرغم من أنها منطقة ذات أغلبية مسلمة كبيرة، إلا أن شـمال إفريقيا ليست من بين المناطق الرائدة في تطوير التمويل الإسـلامي. ووفقًا لدراسة أجرتها مؤسسة غالوب نيابة عن البنك الدولي، فـإن ٣٥٪ من الجزائريين و٥٧٪ من التونسيين يعرفون أن هناك منتجات مصرفية إسلامية، وحوالي ٣٪ فقط من سكان شمال إفريقيا (المغرب والجزائر وتونس ومصر) يستخدمون هذه المنتجات.

ومع ذلـك أصبحت هيئات الإدارة في هذه البلدان تدرك أهمية هذا النوع من المالية، واللوائح تتغير للسـماح بنشر أفضل لهذا النظام المالي. ففي مصر، مهد هذا النظام، يوجد بنكان يسـيران بنسـبة ١٠٠٪ وفقًا للشريعة الإسلامية، وتستعد تونس لإصدار سنداتها الأولى، والمغرب يعمل على إعداد مشروع قانون لتسهيل إنشاء بنوك إسلامية.

إفريقيا جنوب الصحراء

يبلغ معدل تغلغل النظام المصرفي في هذه المنطقة حوالي ١٠٪ ، ولا تزال السوق الإفريقية تشهد تغلغلًا سيئًا من قبل المؤسسات المالية الإسلامية. ومع ذلك، فتحت دولتان بالفعل أبوابهما لهذا السـوق: موريتانيا والسودان، وتسعيان إلى (أسلمة) نظاميهما الماليين.

السـنغال من جانبهـا، تعتبر دولة رائـدة في مجال التمويلات الإسـلامية الصغرى، وهي حاجة لم تغطّها بعد

المصارف الإسلامية مما سيسمح لهذا الابتكار بتوسع قوي في إفريقيـــا، لكن عدد البنوك الإســـلامية لا يزال منخفضًا جدًا عمومًا في إفريقيـــا، مما يجعل البنوك التقليدية تحقق تقدمًا يسيرًا على البنوك الإسلامية التي ينفتح الباب أمامها لإمكانات نمو مثيرة للاهتمام بسبب مشاريع البنية التحتية، وكذلك النمو السكاني.

أوروبا

بدأت أوروبا في التركيز على قضايا التمويل الإســـلامي عـــام ٢٠٠٤، بعد أن أثبت هذا القطـــاع اجتذابه للممولين مع احتمال نمو متوقع. كانت ألمانيا أول بلد يستخدم هذه الطريقة في التمويل، ولكن المركز المالي الإسلامي الحقيقي في أوروبا هي لندن لأن معظم الجالية المســـلمة البريطانية تأتي من مســـتعمراتها الإســـلامية الرئيسية السابقة مثل باكستان التي حاولت (بدون نجاح حقيقي) تطوير صناعة ماليـــة (متوافقة مع الشريعة) بنســـبة ١٠٠٪، وتحققت توعية المجتمع في بريطانيا بأهمية هذا النوع من التمويل، بخلاف الجالية المســـلمة الفرنســـية التي نشأ معظمها في شمال إفريقيا.

إن الذي اجتذب أوروبا هو بالأساس عروض الصكوك. وكانت ولاية (سكســـونيا أنهالت) الألمانية، هي الأولى التي أصدرت هذه الصكوك عام ٢٠٠٤. وكان الآخرون بطيئين في اتباعها، إذ أصدرت المملكـــة المتحدة أول إصدار لها في أكتوبر ٢٠١٣، وفرنســـا عام ٢٠٠٩، التي لم تســـتخدم بعد طريقة التمويل هـــذه، على الرغم من تعديل التشريع. لقد ركزت الشركات الفرنســـية أكثر عـــلى منتج التأمين. ففي خريف عـــام ٢٠١٣، عرضت Swiss Life أول عقود تأمين إســـلامية في فرنسا، تلتها في أوائل عام ٢٠١٤ شركة لوكمسبورغ فيتيس لايف.

إن نجاح التمويل الإسلامي، وهو نظام (موازٍ) للنظام المـــالي التقليدي، يتطلب فهمًا جيـــدًا لنطاق عمله وتحديد التكامل بين النظامين، ويجب ألا يغيب عن بالنا صعوبات تنفيذه في المجالات التنظيميـــة ومجالات المهارات وصورة التمويل الإسلامي عمومًا.

المخاطر التنظيمية والضريبية

إن الإسلام يتطلب من المؤمن دفع الزكاة سنويًا؛ ويتم احتســـاب هذه (الضريبة) على الثروة والتبرع بها للأعمال الخيريـــة. إنها أيضا نوع من الصدقـــات ولكن أيضًا هي عبارة عن منح لمشـــاريع من أجل تحسين حياة المؤمنين أو مشـــاريع مفيدة لهم. ويتوجب على الشركات والبنوك التي ترغب في الحصول على شهادة (توافق أعمالها مع الشريعة) أن تدفعها. من الواضـــح أن الدولة تتدخل لجعل الضريبة التقليدية والضرائب الدينية (الزكاة) متوافقة. ويجب على الســـلطات الضريبية المختصة أن تصنف النظام الأساسي لكل من هاتين الضريبتين.

في الدول الغربية، يطرح الســـؤال عن المكانة الممنوحة للـــزكاة: هل هي اختيار شـــخصي أم بـــادرة تعاون مع المجتمع؟ هل يجـــب إعفاء الزكاة من الضرائب؟ وفي الدول التي تحكمها الشريعة، حيث يمكن اعتبار الزكاة بديلاً عن الضرائب، كيف يمكن إشراك الشركات الأجنبية والمواطنين الأجانب في هذا النوع من الضرائب؟

إن الزكاة هي مشـــكلة شائكة لأنها تنطوي على قضايا الضرائـــب والقضايا الاقتصادية والقضايا السياســـية في الوقت نفسه.

إن الســـماح بالانتقال إلى النموذج المـــالي القائم على الدين يتطلب سياسة تنفيذ معقدة، ويتطلب هذا التحول أيضا خبرة مالية وقانونية ودينية لتطوير نموذج قانوني مناســـب، إذ يجب تحديد وتعريـــف التفاصيل الدقيقة في سياق قرض المرابحة، على ســـبيل المثال، حيث تمتلك المؤسسة التي تمنح القرض, العقار، ويتم إتاحته للعميل حتى تتم إعادة شرائه بالكامل من قبل الأخير. في المشاركة، حيث يجب أن يرتبط المستثمر بنشاط الشركة، أو نشاط الســـندات / الصكوك, يجب أن يكون الاستثمار مدعومًا بأصـــل محدد، هذه القيود لها تأثـــير ضئيل على الإدارة اليومية، ولكن يجب أن تكون مؤطـــرة قانونيًا. غالبًا ما يتم وضع اللوائح من قِبل الـــدول التي لا تزال في وضع ضعيف حيال هذا الموضوع. وهـــذا الغموض التنظيمي

وعدم وجود الاجتهاد القضائي هو ما يمكن أن يؤثر على البنوك وعملائها.

المهارات

إن الـــشيء الأهم في التمويل الإســـلامي ليس المال، بل الكفاءة. فهذا الشرط اليوم هو الأكثر حساسية لهذا النشاط لأن دور المصرف في هذا النظام يختلف اختلافًا كبيرًا عن دور المصرف التقليدي، إذ يجب على البنك ألا تقتصر مشـــاركته على فهم الاحتياجات المالية لشركات زبائنه فقط، بل يجب أن يشارك أيضًا في إدارتها اليومية، وفقًا لمبدأ تقاسم الأرباح والخســـائر. ويجب تقاسم الخسائر وفقًا للتأثير المالي لكل منهما، الذي يأخذ في الاعتبار الالتزام المالي والمشـــاركة في إدارة المشروع. ومن أجل تقليل المخاطر وتحقيق أقصى قدر من الأرباح، لدى البنك مصلحة في تفضيل المشاركة في الإدارة بدلاً من الالتزام المالي الكبير. وتحتاج المؤسسات بالتالي إلى المصرفيين الذين لديهـــم أيضًا خبرة قيمة في مواجهة رجل الأعمال العميل وبالتـــالي إدارة المهارات الصعبة التي تولد قيودًا معينة.

وبالإضافة إلى المشاركة، تتعلق مســـألة الكفاءة أيضًا بالجهات الفاعلة في بيئة البنوك أي الموردين أو المتعاقدين من الباطن، ولكن على وجه الخصوص المدققين ومصدري شـــهادات التوافق مع الشريعة. ففي هذا السوق الجديد، ليس من الســـهل العثور على (مدققي الشريعة). من لديه شرعية التصديق على البنك؟ من يســـتطيع تحديد القواعد التي يجب عـــلى البنك اتباعها؟ من الـــذي يقوم بالتحقق من أن هـــذا المنتج أو ذاك منتج حلال أو أنه يجب حظره؟ كل هذا ينطوي عـــلى مخاطر، مع كل التأثيرات التي يمكن تخيلها على الثقة في النظام.

صورة العلامة التجارية

هذا الاعتبار الثالث يتداخل مع مســـتويات عدة، ويمثل أحد المبادئ الأساسية للتمويل الإسلامي في عدم مزج أنشطة الحرام وأنشـــطة الحلال: يجب تحديد فاصل واضح بين الاثنين. يمكن استنباط تشبيه هذا مع مستهلكي الكهرباء: عندما يســـتهلك المســـتهلك الطاقة، لا يمكنه التمييز بين مصدرها. هل هي طاقة متجددة أم من مصادر أحفورية. إنه غير قادر على اختيار اســـتهلاكه حسب قناعاته. وعلى العكس من ذلك، ففي حالة التمويل الإســـلامي، يجب أن يكـــون العميل على يقين من أن أموالـــه تأتي من مصادر مشروعة، لذلك يجب أن يكون إنشاء فرع للتمويل الإسلامي استنادًا لعلامة تجارية مختلفة عن البنوك التقليدية.

هذا هو الاختيار الذي اتخذه بنك Atijariwafa Bank مع شركته الفرعيـــة Dar Safaa أو أيضا بنك HSBC مع فرعه المســـمى الأمانة. قد يكون لاختيـــار البنوك تصنيف نشـــاطاتها في فئة المنتجات المالية (المتوافقة مع الشريعة الإسلامية) مخاطرة على صورتها العامة في السوق، وتخاطر بأن تكون في قلب جدل ســـياسي ساخن. فعندما دعا ديفيد كاميرون رئيس الوزراء البريطاني السابق المستثمرين من دول الخليج لشراء ســـندات على أساس التمويل الإسلامي (صكوك)، كان عليه أن يواجه حملـــة إعلامية تندد بغزو الشريعة للنظام المالي في البلاد.

إن خطـــر فقدان الثقة في المنتجات البنكية الإســـلامية يمكن أن يتخذ أشـــكالاً أخرى. فعلى سبيل المثال، قد يرى المســـتهلك في المنتجات المعروضة سلعة تروج للدين. لذلك، غالباً ما يتم تقديم المنتجات الإســـلامية على أنها منتجات (بديلة) للتمويل، تستند إلى مفاهيم الدين الإسلامي ولكنها لا ترتبط مباشرة بالقانون. بالنسبة للمستهلك غير المسلم، يتمثل الخطر بشكل عام في أنه يجد نفسه وقد فُرضت عليه مفاهيم ليست خاصة به.

تهدف دراسة قامت بها مؤسسة Bearing Point حول المالية الإســـلامية، إلى تحليل مسارات التنمية المرتبطة بها. ومكنت ردود مجموعة من الخبراء الذين تمت مقابلتهم في عامي ٢٠١٣ و ٢٠١٤ من تسليط الضوء على ثلاثة مجالات رئيســـية للتنمية. من ناحية؛ تمويـــل الشركات الصغيرة والمتوســـطة في البلدان الناشـــئة؛ ومن ناحية أخرى، دور المالية الإسلامية في هيكلة القطاع المصرفي في البلدان الناشئة والمســـاعدات الإنمائية، على نطاق أوسع؛ وأخيرًا الابتكار في الخدمات غير المصرفية (القروض الصغيرة والتأمين). نحن مهتمون هنا بالمحور الأول الذي في رأينا هو الأكثر أهمية في

السنوات القادمة.

إن المشـــاريع الصغيرة والمتوسطة الحجم التي تشكل النســـيج الاقتصادي لأي بلد غالباً مـــا تواجه صعوبة في الحصول على قروض لكن في الوقت الحالي لا تعتبرها المالية الإســـلامية فرصة تمكنها من منافسة البنوك التقليدية من حيث التمويل فحسب، بل اعتبار هذا النشاط محور تطوير رئيسي للتمويل الإسلامي.

ويوضح تصنيف مصدري الصكوك حسب القطاعات أنه وفي الوضع الحالي، يســـهم التمويل الإســـلامي بشكل رئيسي في مشـــاريع البنيـــة التحتية الثقيلـــة، لذا نجد أن معظم مســـتهلكي الصكوك هم قطاعات مميزة للشركات الكبرى (البنوك والتأمين والنقـــل والاتصالات). كما نجد أن القطاعـــات الأكثر ملاءمة لتطويـــر الشركات الصغيرة والمتوســـطة الإفريقية (الزراعة، البنـــاء، العقارات، إلخ) هي الأقـــل حظًا في تلقي التمويلات من قبل المســـتثمرين (المتوافقين مع الشريعة). ومع ذلك، فإن الخســـارة كبيرة. فالشركات الصغيرة والمتوســـطة في القارة الإفريقية تمثل القاعدة الاقتصادية لكل بلد، ومبدأ الأجر الممنوح للمقرض يولد تقاربًا بين رجل الأعمال المقترض والمصرف. وبالإضافة إلى ذلك، فـــإن المهمة الاجتماعية للتمويل الإســـلامي هي الضامن لتطوير البلدان التي يقع فيها البنك. بهذا المعنى، يمكن أن يكون التمويل الإســـلامي بديـــلاً لضمان تمويل أفضل للشركات الصغيرة والمتوسطة في القارة الإفريقية.

إن أحد الاختلافات الأساســـية مـــع التمويل التقليدي تتمثل في تحديد الموقف من الفائدة. هذه الطريقة للتعويض عن المخاطر التي يتخذها المقرض ليست ممكنة في التمويل الإسلامي، ولكن التعويض في حد ذاته غير مستبعد. يعتمد التمويل الإسلامي على التشارك في الأرباح والخسائر، ويتيح هذا النظـــام توزيع المخاطر بشـــكل أفضل وعدم تحميل المخاطر التي يتعرض لها الاستثمار على صاحب المشروع وحده. ويتم الترويج لإنشاء المشاريع على نطاق واسع من خلال طريقة التمويل هذه.

بالإضافة إلى ذلك، فإن هـــذه الطريقة البديلة للتمويل تتوافق بشكل خاص مع الشركات الصغيرة والمتوسطة من خلال العقود المرتبطة بها، خاصة بالنســـبة للمشاريع غير محددة المدة كحالة عقد الإجارة، على ســـبيل المثال، حيث ينقل نموذج التأجـــير إلى البنوك، وحيث يقوم المقاول بدفع إيجار منتظم للبنك الذي حصل على العقار الذي يحتاج إليه.

إلا أنه، يمكن للبنك الذي يعمل وفق التعاليم الإسلامية العثور على صيغة للتشـــارك في الأرباح والخســـائر غير المتوازنة من حيـــث المخاطر مقارنة بالنظـــام التقليدي. ومن هنا جاءت فكـــرة اقتراح عقد شراكة بين البنك ورجل الأعمال: إن عقد المشاركة هو الذي يحدد إطار عمل يتعهد فيه الطرفان بضخ الأموال في المشروع والتشارك في إدارته، وهو ما يعني ضمناً من جانب البنوك المساهمة في رأس المال من خلال تقديم خبرتها وكفاءتها. وبفضل هذه المشاركة، يمتلك البنك المعرفة التي يمكنـــه إتاحتها لعملائه في وقت تقديم طلب القرض وهو ما يقلص من الإجراءات والشروط المطلوبة من طالب القرض. وبالنســـبة للبنك فهي فرصة لتقويم الدراســـات التي يقدمها طالب القرض والمصادقة عليها واعتماد صيغة مناسبة لتقييم ملف المشروع المقدم.

وبشـــكل عام، فإن التمويل الإســـلامي يتميز بســـمة (إنســـانية)، وهو بمثابة مساعدات تنموية كما عبر عن ذلك مركز التجارة الدولية، عندما قال بأن «التمويل الإســـلامي يجسد القيم الأخلاقية وغالبًا ما يحدث التوازن بين التمويل الإسلامي والاستثمار المسؤول الذي يسعى إلى التوازن بين كل من العائد المالي والسلوكيات المسؤولة اجتماعيا أو أخلاقيا».

وبهذه الطريقـــة، يجب أن يركز هذا النمط الجديد من التمويل أولاً على الجهات الفاعلة الاقتصادية التي لها تأثير مباشر على الحياة اليومية للســـكان: أي الشركات الصغيرة والمتوسطة من خلال توفير تمويلات للتنمية وتوجهًا عامًا نحو المعونة الإنمائية.

إن التمويل الإســـلامي يمكنه أن يســـاعد القطاعات أو اللاعبين الاقتصاديين الذيـــن لا يحظون بدعم في إيجاد مصادر جديدة للتمويل. إنه أيضًا طريقة لتعزيز الخدمات المصرفية لبعض الدول الناشئة التي لا تزال بحاجة إليها.

المسلمون في الغرب:
حتمية الاندماج وهواجس الهوية

إعداد: نزار عبدالباقي أحمد

ظلت قضيـــة اندماج المســـلمين باعتبارهـــم أقلية ذات خصوصيـــة ثقافية في مجتمعاتهم الغربية تشـــغل بال كثير من المهتمين بالشأن الإســـلامي، لما تمثله من أهمية تقتضيها ضرورة اجتثاث الفكر المتطرف، والتصدي لمحاولة اســـتغلال التنظيمات المتطرفة.

وفي المقابل فإن دعاة الإسلاموفوبيا في الغرب والذين تقف وراءهم أحزاب اليمين المتطرف بذلوا ولا يزالون يبذلون جهودًا محمومة لأجل تصوير المسلمين على أنهم غزاة ودخلاء، وادعاء أن الإســـلام هو دين عنف. وقد أوجدت تلك الحالة الكثير من المشكلات، في مقدمتها انزواء معظم مسلمي الغرب عن الحياة العامـــة، وانكفاؤهم على ذواتهم، وعزوفهم عن المشـــاركة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية.

وقد بذلت رابطـــة العالم الإســـلامي، ولا تزال، بوصفها منظمة إسلامية شـــعبية عالمية، جهودا كبيرة طيلة السنوات الماضية، لأجل مســـاعدة المســـلمين في الغرب على الاندماج في مجتمعاتهـــم، وأن يتحولوا إلى عناصر بناء مؤثرة، ليكون لهم صوتهم المسموع، بما يمكنهم من أخذ حقوقهم كاملة، وحثتهم على الانصهار دون فقدان لهويتهم الإسلامية. وخلال السنوات الماضية بذل معالي الأمين العام للرابطة، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، جهودا حثيثة لأجل تحقيق تلك الغاية،

بالافيسيني: الشعور بالغربة وفقدان الهوية الأوروبية قادا المسلمين للانكفاء

مثل الاتصـــال بدوائر صنع القرار في معظـــم الدول الغربية والمنظمات الدولية ذات الصلة، لأجل مساعدة المسلمين على حل المشـــكلات التي تواجههم، كما تواصل مع المنظمات والهيئات الإسلامية في الغرب، موضحا أهمية الاندماج في المجتمع، مؤكدا أن الإســـلام لم يكن يوما دينا يدعو إلى العزلة والانكفاء، وأن العيش في دوائر معزولة يتناقض مع طبيعة الدين الإســـلامي الذي يتعايش مع الجميع، ويضمـــن حقوق أصحاب الأديان الأخرى، مطالبا مســـلمي الغرب بمراعاة واحترام دســـاتير وقوانين البلدان التي يقيمون فيها، مشـــيرا إلى أن ارتضاءهم العيش في تلك البلدان يعني تعهدا منهم بمراعاة قوانينها، وأن كل ما عدا ذلك من تصرفات هو خداع لا يقره الإســـلام. كما طالبهم بتفعيل دورهـــم في مجتمعاتهم الجديدة، وأن يكونوا قدوة لغيرهم، وأن يحسنوا تقديم الصورة الحقيقية للإسلام، لأن ذلك من الأولويات التي تحتاجها طبيعة العمل الدعوي.

ترسيخ المفاهيم

ركز أمين عام الرابطة في المؤتمـــرات العديدة التي أقامها في مختلف قارات العالم ودوله على دعوة المســـلمين في الدول الغربية إلى الاندمـــاج الإيجابي في مجتمعهم، وقال في «المؤتمر الدولي للســـلام بين أتباع الأديان» الـــذي عقد في مقر جامعة أكسفورد، في مايو ٢٠١٨ إن الديانات السماوية جاءت رحمة للعالمـــين، وإنها لم تكن في يوم من الأيام شـــقاءً ولا عنتاً على الأفراد أو المؤسســـات. ثم قدم خلال المؤتمر مبادرات وبرامج الاندماج الهادفة لتعزيز الوئام والســـلام الوطني في مختلف المجتمعات، عبر ترسيخ مفهوم المشترك الوطني والذي يُفترض أن يُؤمِنَ به الجميع لأنه يمثل مُسَلّمة لا تقبل الحوار ولا الجدال حولها، وهي وجوب احترام دســـتور وقانـــون وثقافة الدولة الوطنية، ومجرد دخول أي بلـــد يعطي العهد والميثاق بذلك، وإلا أصبح هذا الدخول محرماً لأن عاقبته الخديعةُ والخيانة، مستدركا أن لكل خصوصية دينية أو مذهبية أو ثقافية الحقَّ في المطالبة بالاعتراف القانونـــي بخاصيتها، لكن على الجميع في نهاية المطاف احترام القرار النهائي أياً كانت أداة حســـمه الدستورية.

تأثير الإسلاموفوبيا

حذر الدكتور العيسى كذلك من الخطر الذي تمثله ظاهرة الإســـلاموفوبيا، قائلا إنه يتعين تجريـــم ازدراء أتباع الأديان والثقافات، ورفض أصـــوات الكراهية والتحريض والتفريق، سواء لأســـباب دينية أو مذهبية أو ثقافية أو عرقية، ويتعين في هذا حظر المزايدات السياسية، سواء كانت لمجرد المناورة أو لتأصل العنصرية في أفكارها، والتي تُلَوّح من حين لآخر بورقة التحريض والكراهية للأديان عموماً أو لدين معين، أو تنتقص أو تـــزدري ثقافـــة أو حضارة أو عرقاً، مؤكـــداً أن نظريات الصدام والصراع الحضاري كافة باءت بالفشـــل، ولم يبق إلا أمل التفاهم والوعي والوئـــام، لأن لكل بلد حُكْما وحاكما من قناعة شعبه، وليس لأحد أن يفرض عليه قناعة أخرى أكثر من حدود الاقتراح والمشورة، أو المطالبة المشروعة بحسب القانون. كما دعا إلى إيجاد مرجعية لـــكل خصوصية دينية ومذهبية في كل بلد، يلـــزم احترامها والعمل بقرارها وفتواها وتوجيهها الديني، وعلى الدول الإســـلامية التعامل معها في إطار اتفاقات العلاقة بين البلدين.

صراع الحضارات

خلال مؤتمـــر «الأقليـــات الدينية والإثنيـــة.. الحقوق والواجبـــات»، الذي عقدته الرابطة في يوليو ٢٠١٩ بالعاصمة الغانية أكرا، جدد العيسى مطالبته بالتصدي لدعوات الكراهية وهزيمة الذين يروجون لمعاداة الأديـــان، مؤكدا أن الوصول إلى حالة السلام والاســـتقرار لن يتحقق إلا «عندما تتم هزيمةُ الوحشية التي لا تزال مهيمنة على بعض القلوب. كما لن تصل تلك الماديةُ المجردةُ عن القيم إلى السعادة الحقيقية التي تسعى لها في دنياها إلا عندما ترعى جانب إسعاد الآخرين وليس كف شرِّها عنهم فحسب. وتابع «نقول ذلك في مواجهة جشع النظرة المادية التي لا ترى سوى مصالحها الخاصة على حساب حقوق

وآلام الآخرين، ليأتي فلاسفة هذه النظرية ليُلْقُوا بالملامة على الأديان في صدام وصراع الحضارات، والحقيقة أن الأديان بريئة من ذلك، فأصل الدين الحق قائم على إسعاد البشر في الدنيا والآخرة. بينما التطرف والإرهاب لا دين له ولا زمان ولا مكان، ومن استقرأ التاريخ الإنساني أدرك هذه الحقيقة».

التطرف المضاد

وفي كلمته التي ألقاها أمام البرلمان الأوروبي في مارس ٢٠١٧، واعتمدت كوثيقة، قال العيسى «إذا كانت ظاهرة «الإسلاموفوبيا» في سنين ماضية، قد ظلَّتْ مجرد نظرية فكرية، وتحفظاً عاماً، وكانت وقتها مأمونة العواقب الوخيمة إلى حد كبير، فإن توقعات نتائجها اليوم تختلف اختلافاً جذرياً، وهي أقوى رسائلِ التطرف التي يُلَوِّحُ بها لتعبئة الشُّعُور الإسلامي ضد الآخر». وأضاف أن ردة الفعل المتطرفة المتمثلة في ظاهرة «الإسلاموفوبيا» «ستوَلِّدُ المزيد من المعاناة كما ستزيد من أعداد المتطرفين الذين كانوا بالأمس أسوياء معتدلين يتعايشون مع مجتمعاتهم في البلاد غير الإسلامية باندماج إيجابي، محترمين دساتير وقوانين وثقافة الدول التي يحملون جنسيتها أو يقيمون فيها». مشيرا إلى أن أول كاسب لظاهرة الإسلاموفوبيا هي العناصر الإرهابية التي تسعى لمضاعفة أعدادها من خلال إثارة وتعبئة المشاعر الدينية المتسرعة لدى الشباب المسلم وخاصة في البلدان غير الإسلامية، والخطورة تكمن في أن الإرهاب لا يحكمه نطاق جغرافي يحيط به ينتهي باكتساح دائرة دولته الإجرامية، لكنه محكوم بعالم افتراضي لا حدود له.

الترويج للعزلة

يشير كثير من المفكرين إلى أن جماعات الإسلام السياسي هي السبب الرئيسي وراء عرقلة اندماج المسلمين في الغرب، وذلك حفاظا على مصالح خاصة، لذلك ما فتئوا يرددون مزاعم أن أوروبا تحارب التدين، ولا سيما الإسلامي منه، وذلك للترويج لخطابهم الانعزالي، وتشويه كل مبادئ حقوق الإنسان ومحاولة فرض نمط عيش من الماضي على أبناء المسلمين في المجتمعات الغربية، بدعوى الحفاظ على الخصوصية والتقاليد، وكأن المسلمين هم كائنات من عالم آخر. ويؤكد هؤلاء أن

تسيريتش: اندماج مسلمي أوروبا على قاعدة المواطنة والعقد الاجتماعي

محاولات تسييس الإسلام في أوروبا هي السبب الرئيسي الذي يحول دون اندماج المسلمين في مجتمعاتهم البديلة، ويمنعهم من الانصراف إلى العمل والإنتاج، وذلك لتغلغلهم في معظم الجمعيات والمساجد والمراكز الثقافية.

وتركز تلك الجماعات على نشر خطاب متحفظ في قضايا حقوق الإنسان، التي يرددون أنها تتصادم مع مبادئ الشريعة، ولأجل إيجاد حالة من الضبابية عمدوا إلى تقديم عدد من المواثيق التي صاغوها، وهذا أوجد حالة من الارتباك لدى أبناء المسلمين في الغرب. لذلك فإن أهم الخطوات التي ينبغي اتخاذها لإكمال عملية الاندماج هي التصدي لتلك المحاولات وفضح دوافعها.

إعلان جديد

يدعو رئيس هيئة العلماء في البوسنة والهرسك، الدكتور مصطفى تسيريتش، في الإعلان الذي أطلقه باسم (إعلان المسلمين الأوروبيين) إلى أن اندماج المسلمين في أوروبا بمحيطهم ينبغي أن يكون على قاعدة المواطنة والعقد الاجتماعي والسياسي. مؤكدا «أن حماية الهوية ليست بالعزلة لأنها ستؤدي إلى ضمور الهويات وتكلسها». وأكد تسيريتش أن معظم المسلمين الأوروبيين ملتزمون بالكامل وبشكل صريح بحكم القانون العادل، ومبادئ التسامح، وقيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، مشيرا إلى أن هذا هو السبيل الوحيد لتشجيع الأوروبيين على الاعتراف الرسمي بالإسلام والمؤسسات الإسلامية في أوروبا، وحمايتهم من جرائم التطهير العرقي، والإبادة الجماعية. ويشدد تسيريتش على أن وضعيات المسلمين في مجتمعاتهم البديلة كان لا بد لها أن تتطور مع مرور الوقت صوب الالتفات إلى مسألة المواطنة، بوصفها

حمود: تحقيق التعايش والاستقرار يتطلب العيش دون هواجس عددية

إطاراً لتحسين أحوالهم العامة، ومدخلاً للمطالبة بحقهم في المشاركة السياسية، ومساواتهم مع جميع المواطنين في الحقوق والواجبات، وتأكيداً لرغبتهم في التفاهم والتعايش، مع مختلف مكونات المجتمع.

أزمة الهوية

يرى رئيس المجتمع الإسلامي بإيطاليا، الدكتور يحيى بالافيسيني، أنه من الضرورة أن تبادر المؤسسات الإسلامية في الغرب إلى دعم عملية اندماج المسلمين في مجتمعاتهم، وأشار خلال مشاركته في مؤتمر «مستقبل الوجود الإسلامي في المجتمعات غير المسلمة.. الفرص والتحديات»، الذي عقد بالعاصمة الإماراتية أبوظبي إلى أهمية تفعيل حزمة من برامج التدريب لمجموعة من المؤثرين وقادة رأي المجتمعات المسلمة في الدول غير الإسلامية، لنشر ثقافة التعايش المشترك والتسامح، وتعزيز قيمها. وأضاف أن أهم التحديات التي يتعرض لها مسلمو أوروبا هي شعورهم بالغربة وعدم امتلاك هويتهم الأوروبية، وهذا ما أوصلهم للانكفاء على الذات دون الاندماج مع بقية المجتمع. مشيرا إلى ضرورة أن تبادر المؤسسات الإسلامية الغربية لتبديد هذا الشعور، وحث المسلمين على المزيد من التفاعل. ولفت إلى ضرورة تركيز الجاليات المسلمة على دورها، مع محاولة الاندماج في المجتمع لتخطي العقبات التي تواجهها. وفي ذات الوقت التمسك بهويتها وأصالتها من أجل تحقيق الاندماج السليم، وتجنب الصراع، بهدف الوصول إلى حوار متنوع بين المسلمين والأوروبيين.

تسييس الإسلام

يعزو نائب رئيس مجلس الإفتاء بالسويد، الشيخ حسان موسى، السبب في عدم حدوث الاندماج الحقيقي لمسلمي الغرب إلى انتشار فكر الإسلام السياسي، وقال خلال مشاركته في المؤتمر العالمي للمجتمعات المسلمة «إذا بحثنا في كل أسباب الخراب والدمار نجد أن تلك الجماعات هي السبب الرئيسي». وتابع «الأمن والسلام هما كلمة السر التي تجمع المسلمين في أوروبا، فنحن ارتضينا أن نعيش في الغرب، ودخلنا تلك الديار بعقد ووقعنا على شروط، ونحترم قوانينهم ونتقبل ثقافاتهم. فنحن في أوروبا لسنا من دعاة إعادة الخلافة، نحن دعاة سلام نقبل بالآخر باختلاف دينه وعرقه، ونريد أن نكون عامل بناء لا تمزيق، عامل تجميع لا تفريق». وتساءل موسى حول أسباب محاولة البعض قولبة الإسلام وحصره في جماعة، خاصة أن هناك فرصة للتعايش، مؤكدا أن القوانين حول العالم تسمح للمسلمين بالعيش الحر والاندماج مع الآخر. واعتبر أن بعض مسلمي الغرب يعانون من انفصام في الهوية، وأن هذا الانفصام استغله دعاة التطرف لأعمال التفجير والترهيب باسم الإسلام.

هواجس الكمية

طالب مفتي فنلندا، الشيخ وليد حمود، بضرورة توجيه المسلمين إلى الاندماج الإيجابي دون التخلي عن هويتهم الإسلامية ومبادئهم، مؤكداً أن عدم الاندماج سيؤدي حتما إلى نتائج سلبية، وقال خلال مشاركته في المؤتمر العالمي للمجتمعات المسلمة «لا يمكن تصور علاج لمشكلة اندماج المسلمين في الغرب بعيدا عن شعورهم كأقلية بأنهم باتوا جزءا من الأغلبية المواطنة، ويتطلب ذلك المشاركة في المجال العام بكل انفتاح وتطور بما يخدم مصلحة جميع أفراد المجتمع، بعيدا عن احتساب الانتماءات الدينية أو العرقية. وتحقيق ذلك يختزل في وصفة سحرية مكونها الأساسي العيش دون هواجس عددية، سواء من جانب الجاليات المسلمة أو من جانب غيرهم من مواطني الدول الغربية. وأضاف حمود أن توطين الإسلام في المجتمعات الغربية بات ضرورة حيوية لحماية المسلمين في المهجر من الاغتراب الثقافي والتطرف الديني والإسلاموفوبيا والوصاية الخارجية التي تمارسها عليهم أنظمة وأيديولوجيات في مجتمعاتهم الأصلية.

مواقف من السيرة المطهرة

إنسانية الحدث وحضارية الإيمان

بقلم: أ.د . كمال سعد محمد خليفة
جامعة الأزهر – أسيوط

جاء حدث الإسراء والمعراج؛ بعد أن حوصر الرسول الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، وكادت الدنيا أن تغلق في وجهه كل منفذ، وأهمَّه وأرَّق نفسه الحرة عجزه عن أداء مهمته المقدسة التي ناطه الله بها، وهي تبليغ الرسالة، وتعريف الناس بالدين الجديد الذي ينقلهم من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس؛ يخرجهم بإذن ربهم من ظلمات الجهل والتخلف والعبودية، إلى رحابة نور العدل والعلم والإيمان بالله تعالى.

سدت أمام النبي محمد كل المنافذ التي كان يحاول أن ينفذ منها على هدفه، كي يصدع بدعواه «فَاصدَع بِما تُؤمَرُ وَأَعرِض عَنِ المُشرِكينَ» سورة الحجر : (٩٤)، وينقذ البشرية من عته الجهل، وصلف الظلم، ويبدد غياهب الظلمات التي كانت ترخي سدولها على أركان الدنيا، سيما بعدما وهَت الصلة بين السماء والأرض، وغار نور النبوات وطمست أدران الأرض ضياءه، وتفلت الناس وقتئذ من ربقة الدين، وبهتت في نفوسهم كل ألوان القيم الإنسانية والحضارية، فغاض ماء العدل، وانكفأ الناس عن إقامة الحق، واستبدلوا الكره بالحب. ومن ثم، تمزق بنيان المجتمعات، وتهدمت مقوماته، وتبددت طاقاته، حيث توزعته النزاعات وكانت تقوم الحروب بينهم على أتفه الأسباب! إذ جفوا من القيم كل ما يمكن أن تنهض عليه قواعد المجتمعات، وتبنى عليه الحضارات.

ومما زاد من معاناة الرسول وأرهق نفسه المطمئنة، افتقاده للجناحين اللذين كانا يستظل بحمايتهما، الجناحان اللذان كانا حائط الصد الذي يحتمي به الرسول محمد ، ويسريان نفسه، ويدفعان عنه كل حاجة أو خطر يترصده!

الأول: زوجه خديجة بنت خويلد؛ أم المؤمنين رضي الله عنها، كانت السند والستر والعون على نوائب الدهر، والصدر الحنون الذي يهجع في ظله كلما ألهبه صهد مكائد الكفار، أو أحزنه إصرارهم وعنادهم لله عز وجل! سخرت مالها ونفوذها تعينه على نوائب الدهر وتحمل عنه ما يثقل كاهل الرجال، فكانت له زوجًا وسندًا، تدفعه للعنان دون كلل أو ملل، ففي مواقفها المشهودة واللامعة في حياة الزوج الرسول ما يشهد لها بالعظمة والوفاء، فعندما أتاه السفير الأول جبريل عليه السلام وهو يتحنَّث في غار حراء، وآذنه بالبلاغ، وبشره بالنبوة، وضمه إليه، وقال:

– اقرأ.

قال الرسول :

– ما أنا بقارئ!

فجبذه مرة أخرى بقوة، وكأنه كان ينفض عنه ما تبقى من أدران الدنيا وعوالقها، وقال:

– اقرأ .

قال النبي:

– ما أنا بقارئ!

قال له جبريل في الثالثة:

– «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ».

فتلَا ما سمع ، ثم هرع إلى بيته متدثرًا بخوفه.

ولنترك الأديبة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) تنقل لنا هذا المشهد كما صورته في كتابها الماتع

(سيدات بيت النبوة .. ص : ٢٢٧ وما بعدها):

«.. فلما نزل عليه الوحـــي في ليلة القدر وهو في غار حراء حتى انطلق يلتمس بيته في غبش الفجر خائفًا شاحبًا مرتعد الأوصال، وإذ بلغ حجرة زوجه، أحس أنه وصل إلى مأمنه، فحدَّثها في صـــوت مرتجف عن كل ما كان ونفض لديها مخاوفه:

- أتراه يهذي حالماً؟ .. أم به جُنَّة؟

وضمته إلى صدرها، وقد أثـــار مرآه أعمق عواطف الأمومة في قلبها، وهتفت في ثقة ويقين:

• أبا القاســـم، أبشر يا ابن عم واثبت، فو الذي نفس خديجـــة بيده، إني لأرجو أن تكون نبـــي هذه الأمة، والله لا يخزيك الله أبـــدًا .. إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

• أشرقت أسارير محمد وزايله روعه، فما هو بالكاهن ولا به جنة، وهذا صوت خديجة العذب الحنون، ينســـاب مع ضوء الفجر إلى فـــؤاده، يبث فيه الثقة والأمن والهدوء. وأحس بالراحة والطمأنينة وهي تقوده في رفق إلى فراشه، فتضعه فيه كما تفعل أم بولدها الغالي، ثم تهدهده بصوتها الحلو، وتنثر على مضجعه أسنى الأحلام.

• واستراحت عيناها عليه برهة وهو مستغرق في نومه الهادئ المطمئن، ورفَّ حوله قلبها ملء الحب والإيمان، ثم قامت فتســـللت من المخدع على حذر، حتى إذا بلغت الباب اندفعت إلى الطريق الخالي، تحـــث خطاها نحو ابن عمها ورقـــة بن نوفل، ومكة ما تزال تنعم بغفوة الصبح والكون يبدأ تفتحه للضوء والحياة ..».

جاءت الزوج الرؤوم (ورقة) تســـأله عما ألمَّ بزوجها، حكت له قصة ما حدث له، فانتفض صائحًا: فو الذي نفس ورقة بيده لو صدَقْتِني فيمـــا تقولين، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى عليهما الســـلام.. إنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت!

عادت إلى بيتها، جلســـت تنتظـــر بالقرب منه، تكاد نفسها تذوب من لهفة عليه وحب وحنان، ثم إذا به ينتفض في فراشه، تتثاقل أنفاســـه، ويتفصد العرق من جبهته... وظل على ذلك فترة قبل أن تعاوده ســـكينته وتهدأ أنفاسه، ويبدو عليه كأنما يصغي إلى محدث غير مرئي، ثم يتلو في بطء كأنه يستعيد درسًا ألقي عليه للتو:

- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُـــمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

فكانت مساندة خديجة لزوجها حدثًا عظيمًا، لا يقل في عظمته وحنوه عن حدث البشارة بالنبوة عظمة وشرفًا! حتى إنه كان يفضلها على سائر أزواجه، وظل وفيًا لها حتى بعد وفاتها، فيقول فيها مباهيًا: «وَاللَّه لَقَدْ آمَنَتْ بِي حِينَ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَآوَتْنِـــي إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الْوَلَدَ إِذْ حُرِمْتُمُوهُ مِنِّي».

الآخر: موت عمه أبي طالب: الذي كان ســـنده في هذا المجتمـــع، كثيرًا ما يلجئ ظهره إليه إذا ما ادلهمت الدنيا في عينيه، وحاصره أعمامه وبنو جلدته من صناديد الكفر في مكة والطائف وأجنابهما، فإذا ما اشتدت وطأة الكفر، وبرز صلف أدواته، وجبروت رجالاتـــه في مكة، كان يبرز عمه، يحميه من أذى هؤلاء جميعًا! وكأن الله أمســـك نفسه عن الجهر بالإيمان بدين محمد ليظل سيِّدًا مهابًا بين سادات مكة، يظل في معســـكرهم قائدًا له كلمتـــه التي يزع بها، فيسمع كل ناديهم لمقولته! وليس في معسكر محمد ، ودينه الجديـــد الذي يبشر به. فعندما عرضوا عليه أن لو أراد ابن أخيه بالتخلي عما يدعـــو إليه، ويظل على دين آبائه، موقرًا لمناســـكهم، ومقدرا لشعائر آبائهم! بأن نجعله ملكًا علينا، أو نزوجه بأجمل من يحب أو يختار من أشرف بيوتاتنا، أو نجمع له أموالاً ليكون أغنانا! ويترك دينه!

فلما بلغه من عمه ما عرضه صناديد قريش وإغراءاتهم له، قال رافضًا بحسم قولته الخالدة:

• والله يا عم لو وضعوا الشـــمس في يميني والقمر في يســـاري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه!

قال أبو طالب:

• اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لن أسلمك لشيء أبدا!

من هنا، كانت رحلـــة الإسراء والمعراج، إسراءً جديدًا في حياة الرسول الكريم ، ومعراجًا لهذا الدين العظيم.

كان كل ذلـــك إيذانًا بفتح جديد للدين الجديد ولنبيه ، كان كل هذا إرهاصًا لتدشـــين مرحلة جديدة في بناء دولة النبـــوة الخالدة – لو صح التعبـــير – فكانت هذه الرحلة المباركة إنقاذًا للنبي من الجو العام الذي يحيط به، ويحكم الوثاق حوله.

في ليلة مباركة كان رسولنا الكريم على موعد مع هذا اللقاء؛ لقاء الســـماء بالأرض؛ لقاء النبي مع ربه المتعال، عبر سفير الأنبياء جبريل جاء ينهضه، ويعده لهذه الرحلة المباركة من مكة؛ بلد الله الحرام، وموطن بيته العتيق، إلى بيت المقدس حيث منصة التتويج. قال الله تعالى: «سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ لَيلًا منَ المَسجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى الَّذي بارَكنا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إِنَّه هُوَ السَّميعُ البَصيرُ» ســـورة الإسراء (آية : ١) . مرحلة جديدة من مراحل بناء دولة النبوة الخالدة، حيث يتوج ســـيدنا محمد نبيًا خاتمًا لرسالات من سبقوه من الأنبياء والرسل الكرام، صلوات الله وســـلامه عليهم أجمعين... من هناك من عند قبة الصخرة وحائط البراق يُصعد بالنبي الكريم ، نحو السماوات السبع؛ من سماء لسماء، يتعرف على ساكني كل سماء من الملائكة وإخوانه الأنبياء في مشـــهد احتفائي جليل، حتى يصل إلى أبعد نقطة هناك، حيث الأفق الأعـــلى؛ مقام الذات العلية ، حيث رأى مـــا رأى من آيات ربه الكبرى! التي ســـجلتها سورة النجم في مشـــاهد من الجمال والجلال «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَـــلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْـــتَوَى ﴿٦﴾ وَهُـــوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَـــى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِندَ ســـدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» سورة النجم.

جاء جبريل الســـفير الأول؛ ليعـــرف الأمير الجديد بالأمراء الذين ســـبقوه في دولة النبوة، وهم كذلك يتعرفون على النبي الخاتم الذي طويت لـــه الدنيا هكذا، وجاء على جناح العظمة والجلال؛ النبي الذي ســـيتم الله به الدين، ويكتمل به البناء، وتتسع رســـالته لاستيعاب كل رسالات من سبقوه، فينضوي تحت لواء رايته كل العالمين من أتباع عيسى وموسى وإبراهيم، وكل دين يصدع بتوحيد الله . فعَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ، قَالَ: مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَـــةِ، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ». وهو من نسل إســـماعيل أبي العرب، وليس من زمرة بني إسرائيل الذين اســـتتب لهم عرش النبوة عبر آماد طويلة، وتقلدها منهم أنبياء ورســـل كثيرون! التقى بكثير منهم عبر رحلته السماوية كآدم، وموسى، وعيسى ويحيى وإدريس ويوسف، وأبيهم إبراهيم (على جميعهم أفضل الصلاة وأتم السلام)، حتى وصل إلى السماء الســـابعة؛ دارة البهاء والجلال، ثم ارتقى حيث أبعد نقطة هناك: «ثُـــمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَـــيْنِ أَوْ أَدْنَى» (النجم : ٨، ٩) ، أعطاه ربه ومنحه من رضاه، ما يرضيـــه ويرضي أمته، وأخذ ميثاق ربه العظيم، بأن سيكون الرسول الخاتم، ودينه سيكون الدين الخاتم.

عاد الرســـول الكريم من رحلتـــه الإيمانية محملاً بعطاءات الله الباهرة، حيث منصة التتويج في باحة المسجد الأقصى، حيث تنتظر جموع النبيين والمرســـلين ضيف الله العظيم، يجد الحشد النبوي الكريم قائمًا، وبانتظار الأمير الجديد لدولة النبوة، كي يباركوا هذا الاختيار، ويشـــاركوه الاحتفاء بأمانة الخلافـــة، ويعلنوا للعالمين من أتباعهم: أن الدين عند الله (الإسلام).

تمثل هذه الرحلة الإيمانيـــة العظيمة تحولاً في حياة النبي الخاتم ، وكذلك في حركة بناء دولة الإســـلام، وإيذانًا بأن الدنيا ستفتح ذراعيها لاستقبال واقع جديد، تحت لواء رســـول جديد بدعوة ترســـخ لإيمان جديد، تنطلق دعوته من معقلهـــا في مكة إلى آفاق جديدة، وتربة خصبة صالحة لاستزراع قيم هذا الدين، ونشر عبقها في آفاق الدنيا بأسرها، يمتد أريجها في القارات الست حتى بعد أن فارق أمير دولة النبوة. فرايات دينه ســـتظل خفاقة بـــإذن الله، مرفوعة سواريها في كل أركان الدنيا، ويتسع شذى عبيرها ليغطي آفـــاق الدنيا، فيصدح النداء الخالـــد: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في فضاء الكون الفسيح.

بستان الكتب

صور من احتفاء الحضارة الإسلامية بالقراءة

بقلم: صلاح عبد الستار محمد الشهاوي
عضو اتحاد كتاب مصر

من الثابت علمياً أن العالم لم يتقدم إلاَّ لما مسكت الأصابع الأقلام، وصافحت النظرات الحروف، وامتلأت رفوف المكتبات بالكتب، وامتلأت المدن بالمكتبات.

يتصدر الكتاب بجدارة بالغة سائر ما ابتدعه البشر من وسائط معرفية على مدار التاريخ الإنساني، ذلك أن القراءة هي الأبرز والأسمى بين كل الأنشطة والفعاليات البشرية، وهذا يعني أن الكتاب سيظل الجامعة الإنسانية الأقدم التي طالما توجهت إليه قوافل طلاب المعرفة. وسيظل الكتاب منارة للثقافة وينبوعاً للمعرفة على أي صورة كانت، وعلى أي نحو سيكون، سواء أكانت مادته على جدار كهف بدائي أو جلد حيوان أو ورقة بردي، أو صفحة كتاب مطبوع، أو صفحة الويب.

وقد احتل الكتاب عند العرب مكانة مهمة، فهو عندهم مَعْلَم حضاري وديني، كما ارتبط الكتاب بالإسلام الذي كان فتحاً مبيناً لهم. فقد جعل النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام فداء كل أسير من المُشركين تعليم عشرة صبيان من المسلمين القراءة والكتابة، وهو ما يؤكد ارتباط القراءة والكتابة بانتشار الإسلام الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في أول آية قرآنية بالقراءة، قال تعالى في سورة العلق: «اقرأ باسم ربك الذي خلق».

وقد سمى الله تعالى قرآنه كتاباً في مواضع عديدة منها: «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» (إبراهيم: ١)، وقال تعالى: «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» (البقرة: ١-٢)، وقال عز من قائل: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» (الأنعام: ٣٨).

وجاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: «قيدوا العلم بالكتاب» (رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع).

وعندما انتقل الرسول إلى جوار ربه جمع خلفاؤه

هذا الكتاب بين دفتين، فـــكان أول كتاب عرفه العرب وتداولوه بعد ظهور الإســـلام، ثـــم تنبهت الأذهان إلى الكتاب وأهميته، ولـــم يكد القرن الثاني الهجري يطل حتى ظهر الموطأ لمالك بن أنس، ثم تتالت الكتب وظهرت وانتشرت في كل علـــم واختصاص، وأصبح الكتاب من التحف الغاليـــة التي يحرص الناس عـــلى احتوائها، ويتنافسون على اقتنائها.

وقد علم العرب أن الكتب كنوز المعرفة الإنســـانية، وتجارب الحياة عبر السنين، فيها علم الماضين ورؤاهم واســـتشرافهم صوب المســـتقبل. لذا اعتنوا بالكتاب حاملاً ومحمولاً، وألفوا فيه محتوى وصناعة، واتجهت عناية بعـــض الكتاب والمصنفين إلى رصد النتاج الأدبي والعلمـــي وتعـــداده، وأفردت لذلك، منـــذ زمن مبكر مؤلفات مخصوصة أشهرها كتاب الفهرست لمحمد بن إســـحاق النديم (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) الذي جود فيه، واستوعب اســـتيعاباً يدل على اطلاعه على فنون العلم وتحققه لجميع الكتب، فحَوْصَل فيه المعارف والعلوم التي ألف فيها حتى زمنه، واستقصى جملة التصانيف والمؤلفات الموضوعة باللغـــة العربية أو تلك التي نقلت إليها من اللغات الأخرى كاليونانيـــة والسريانية، بلغ عددها ثمانية آلاف وثلاثمائة كتاب.

ولقد وصلت الحضارة الإسلامية في العصر العباسي أوجها في إنجاز ما تقتضيـــه الحضارة المتقدمة، ففيه اســـتوفت الكتب تأليفهـــا في العلـــوم المختلفة، وفيه تطورت الفنون والحرف، إلى أقصى ما سجل في مضمار حضارات الأمم.

لقد بلغـــت العناية بالكتـــاب في الحضارة العربية والإسلامية مبلغاً كبيراً، وأولع الناس به بصورة مدهشة، ولعل الأدب العربي هو أغنـــى الآداب العالمية القديمة بالتغني بالكتاب والولع به والرغبة فيه والتحدث عنه، حتى لكأنه حبيب نأى مزاره وشطت داره، فالقلوب إليه منصرفة وبه مولعة.

وللكتاب في التاريـــخ العربي تاريخ موغل في القِدم، فما قصة هذا الكتاب في هذا التاريخ؟

كانت بدايات الكتابة عند العرب نقوشاً على الأحجار الكبيرة، لذا ســـاد المثل: «العلم في الصغر كالنقش على الحجر»، وبعـــد ذلك أخذت الكتابة على «الصحف» كَتَب العرب على أكتـــاف الإبل (اللخاف) وألـــواح الحجارة الرقيقة (الرقاق) والعريض من جريد النخل (العُسُب) واستخدموا جلود الحيوانات كالماشـــية والإبل والأغنام والماعز صحفاً للكتابة، وذلك بعد دبغها وإزالة الوبر أو الصوف أو الشعر عنها، كانت هذه الجلود تهيأ بعناية، فتكشـــط وتحك حتى ترق، وكانت تسمى Diphterai، وهي كلمة يونانية ذات أصل فارسي قديم (دفتر)، ومنها أخذ العرب التســـمية نفســـها. فالدفتر وجمعه دفاتر، مجموعة من الصحف تُضم إلى بعضها بعضاً، وفي طياتها محتوى لموضوع واحد، أو مواضيع عدة متشابهة. بل إننا نستطيع أن نُرجع كلمة « الجِفر» وهو في الأصل رقاق من جلد الماعز، إلى الكلمة نفسها. وبعد أن يُكتب على الرقاق يطلق العرب على الرقاق أسماء مختلفة:

– المُصحـــف: والجمع مصاحـــف، مجموعة كبيرة من الصحف تتميـــز طياتها عن الصحيفة بأنها يُكتب على وجهها وظهرها, تُضم طياتها وتربط عند طرفها الأيمـــن بخيط متين يخاط من فوق نزولا إلى أســـفل، بحيث تكون الكتابة على دفتي المصحف، وعندما جُمع القرآن الكريم، جُمع على هذه الطريقة فسُمي مصحفاً، وجاءت عليه ألف ولام (الـ) التعريف للدلالة على التفرد والعظمة.

– الكتاب: والجمع كُتـــب، وهو جامع الكتابة، فإما يكون ما كُتب عليه من المؤلف نفســـه، وإما أنّ المؤلف أملاه لآخر فاستكتبه. وقد عمّ هذا الاسم فأصبح يعني

كل ما هو مكتوب. سواء على الرقاق أو على غير ذلك من المواد، ثم أصبح مرادفاً للمصحف أيضاً، وقيل في سبب تسميته: سمي الكتاب كتاباً لاجتماع الحروف كما سمي العسكر كتيبة لاجتماع الجند فيه.

- الصحيفة: وجمعها صُحُف، وهي كل ما يكتب عليه بقطعة واحدة وعلى وجه واحد فقط.

- السجل: والجمع سجلات، ولا تختلف السجلات عن الصحف إلاّ بمضمون المكتوب عليها، ولا تكون من اللخاف أو الرقاق أو العُسُب، لصعوبة طيها. قال تعالى: «يوم نطوي السماء كطي السَّجل للكتب» (الأنبياء: ١٠٤)، «والسماوات مطويات بيمينه» (الزمر: ٦٧). فالسجلات عبارة عن وسائق رسمية، أو حسابات تجارية، تُحفظ كمطويات بطريقة أسطوانية، ملفوفة بخيط أو في علبة معدنية، وتوضع على أرفف خاصة وبطريقة أفقية.

- الكراسة: أو الكراس، والجمع كراريس، مثل الدفتر، إلاَّ أنها أصغر في قطعها، وتضم في طياتها موضوعاً واحداً أو جزءاً من كتاب.

ثم كان الورق والذي أحدث ثورة في صناعة الكتاب بعد اختراعه، فكلمة ورق جاءت أصلاً من ورق الشجر، إحدى مواد الكتابة عند العرب قبل تعرفهم على الورق المصنوع. أما كلمة ورّاق فجاءت بمعنى الدراهم، ربما لكثرتها، تكون مثل ورق الشجر، قال تعالى: «فابعثوا أَحدكُم بِورِقِكم هذه إِلَى المدينَةِ فَلينظر أَيها أَزكى طعامًا فليأتكم بِرزق منه ولْيتلَطف ولا يشعِرن بِكم أَحدًا» (الكهف: ١٩). والورق تعني الرجل كثير الدراهم (عرفت الدراهم عند العرب بالورق، وأطلقوا على الموسر مورقاً، وأطلقوا على الفضة اللجين، وأطلق لفظ الورق على المال كله بعد ذلك، قال الشاعر:

يا رب بيضاء من العراق
تأكل من كيس امرئ ورّاق

كما تعني العامل في صناعة الورق ومنها – مورق الكتب – أي الذي يحترف الوراقة مثل بيع الكتب ونسخها وخطها وتجليدها وتهذيبها.

وأول تسمية عربية لكلمة ورق هي كاغد kaghad ومنها التسمية التركية kaghit المستعملة حتى يومنا هذا، وكلاهما مشتق من الكلمة الصينية Gu_zhi أي الورق المصنوع من لحاء شجر التوت. وكلمة قرطاس هي كلمة عربية أخرى استخدمت في سابق الزمان لكلمة ورق، وقد جاءت كلمة قرطاس بهذا المعنى في القرآن الكريم في سورة البقرة في إشارة للكتابة على ورق منفصل، ويحتمل أن أكثر التسميات شيوعاً في اللغة العربية هي كلمة ورق، وهي الكلمة المستعملة حتى الآن، والتي تعني في الأصل ورق الشجر، كما أنها تسمية مختصرة لتسمية ورق قرطاس.

و(الواو والراء والقاف) في مقاييس اللغة العربية: أصلان يدل أحدهما على خير ومال، وأصله وَرَق الشَّجر، والآخر على لون من الألوان، فالأول الورق ورق الشّجر، والورق المال، من قياس ورق الشَّجر، لأن الشّجرة إذا تحاتَّ ورقُها انجردَتْ كالرَّجل الفقير، كما قال الشاعر:

إليك أدعو فتقبل ملَقِي
واغفر خطاياي وثمرْ ورقي

ولا نعرف على وجه الدقة، أيهما الذي كان أسبق من الآخر إلى الارتباط بالشجر: القاموس أم الورق؟! لكن المؤكد أن الورق بشكله الحالي والمعروف تناسل من ورق الشجر وأغصانه وسيقانه منذ اكتشاف قدماء المصريين لورق البردي، مروراً بتصنيع قدماء الصينيين للورق من لحاء الأشجار. وتساوي اللغة بين الغني وصانع الورق فتعطيهم المسمى نفسه (الوراق)، لارتباط الورق بالمال والمعادن الثمينة كالذهب والفضة التي يطلق عليها.

وكان العرب يطلقـــون كلمة «قراطيس» على أوراق البردي، وقـــد وردت القراطيس في القرآن الكريم، ومنه الآية التي جاءت في سورة الأنعام ترد على طلب مشركي العرب من النبي صلى الله عليه وسلم، أن يأتيهم بمعجزة: «ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فَلَمسوه بِأَيدِيهِم لقَال الذين كفَروا إِن هذا إِلا سحر مبين» (الأنعام: ٧).

وكانت مصانـــع القراطيس البرديـــة تتمدَّد حول الإسكندرية وشرق الدلتا والفيوم، ثم أصبحت الفسطاط أهـــم مركز لإنتاج الـــورق من الـــبردي، وكان العرب يشيدون مساكنهم حول مصانع القراطيس، أما آخر ما وجد من ورق البردي فيعود لبدايات الدولة الإخشيدية سنة ٣٢٣هـ.

ومن بعد المصريين القدماء حمل الصينيون الراية، وبدؤوا يصنعون الورق من لحاء الأشجار والنباتات في القـــرن الثاني الميلادي، ويعـــود الفضل في ذلك للصيني تسي آي لون الذي استطاع في عام ١٠٥ بعد الميلاد أن يتوصل إلى تصنيع ورق من لحاء الأشجار، ثـــم تواصل التقدم الصيني في صنـــع الورق عندما تم التوصل إلى طريقة حشـــو سطح الورقة بالغراء والجيلاتين للحد من انتشار الحبر، وكان ذلك في عام ٧٠٠ بعد الميلاد، ثـــم انتشر بعدها تصنيع الورق في كوريا واليابان وانتقل إلى العرب والمســـلمين عندما دخلوا سمرقند في العام ٩٣هـ/٧١٢م، وكان للعرب والمســـلمين بعد ذلك فضل تعريف العالم الأوروبي بالورق، وكانت بغداد أول مدينة تحتضن أول مصنع للورق في بلاد العرب في عهد هارون الرشـــيد، وقد أســـس هذا المصنع الفضل بن يحيى وزير الخليفة في عام ١٧٨هـــ/ ٧٩٤م، ثم انتشرت صناعة الورق بعدها في كل أرجاء العالم الإسلامي ودخل أوروبا عن طريق الأندلس.

وبعد أن كثر الورق أمر الخليفة هارون الرشـــيد، بترك الكتابة في الورق القديم المصنع من الجلد والبردي وغيره، والانتقال للكتابة في الورق الصيني الذي أطلقت عليه العرب «الكاغد» حتى صارت المقولة التي يسير بها الركبان: «كواغد سمرقند عطلت قراطيس مصر».

ولقد ترك العرب للمعرفة الإنســـانية تراثاً لم تتركه أمة قبلهـــم ولا بعدهم يتمثل في أمهات الكتب والمعاجم والموســـوعات التي خطتها أقلام العلماء والأدباء الذين أفنوا أعمارهم في التفكير المثمـــر والإنتاج الغزير نثراً وشعراً وعلماً وفناً، وكانوا يطربون لصرير أقلامهم على الورق كما يطرب الموســـيقار لألحان الآلة التي يعزف عليها.

قال الإمام أبـــو محمد بن حزم: لولا الكتب لضاعت العلـــوم ولم توجد، وهذا خطأ ممـــن ذم الإكثار منها، ولو أخذ برأيه، لتلفت العلوم، ولجاذبهم الجهال فيها، وادعوا ما شاؤوا، فلولا شـــهادة الكتب لاستوت دعوى العالم والجاهل.

ولعل ما نشاهده اليوم لدى بعض الأمم المتقدمة من ولع بالقراءة والمطالعة في الحدائق والســـاحات العامة وحتى في عربـــات القطارات وفي الطائرات والحافلات.. إلـــخ، هو أثر من آثار الحضارة العربية الإســـلامية في حقب الازدهار والإيناع والســـؤدد، فقد كان المسلمون مولعين بالقراءة وحب الكتاب واصطحابه بتحدّ يفوق التصور.

وكان علمـــاء المســـلمين الأجلاء يقـــرؤون الكتب ويطالعون القراطيس والأوراق في جميع أحوالهم، يقول ابن القيم: «وأعرف من أصابه مرض من صداع وحُمى وكان الكتاب عند رأســـه فإذا وجد إفاقة نظر فيه فإذا غلبه وضعه، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك فقال: إن هذا لا يحل لك».

وروي عن الحســـن اللؤلؤي أنه قال: «لقد غبرت لي

أربعون عاماً ما قمت ولا نمت إلاَّ والكتاب على صدري».

وقال أبو العباس المبرد: «ما رأيت أحرص على العلم من ثلاثة: الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي. فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره، أي كتاب كان، وأما الفتح بن خاقان - من كبار رجال دار الخلافة - فكان يحمل الكتاب في خُفِّه فإذا قام من بين يدي الخليفة المتوكل ليصلي أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه، فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة ما، أخرج الفتح كتابًا من كمّه أو ردنه وقرأه في مجلس المتوكل حتى عودته إليه. وأما إسماعيل بن إسحاق فإني ما دخلت عليه قط إلاّ وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه».

ويروى أنه سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م توفي سليمان بن الأشعث السجستاني المحدّث المشهور بأبي داود، وكان له كُمّان: كمّ واسع وكم ضيق، فقيل له في ذلك، فقال الواسع للكتب والآخر لا أحتاج إليه.

ويروى أن عبدالله بن عبدالعزيز العمري كان يلزم الجَبَّان ـ المقبرة - كثيراً، فكان لا يخلو من كتاب يكون معه ينظر فيه، فقيل له في ذلك، فقال: إنه ليس شيء أوعظ من قبر، ولا أسلم من وحدة، ولا أنس من كتاب.

قال أبو نصر الميكالي: تذاكرنا المتنزهات يومًا وابن دريد حاضر، فقال بعضهم: أنزه الأماكن غُوطة دمشق، وقال آخرون: بل نهر الأُبلة، وقال آخرون: بل سُغد سمرقند، وقال بعضهم: نهروان بغداد، وقال: بعضهم شِعب بوان، وقال بعضهم: نوبهار بلخ. فقال ابن دريد: هذه متنزهات العيون، فأين أنتم عن متنزهات القلوب؟ قلنا وما هي يا أبا بكر؟ قال: عيون الأخبار لابن قتيبة، والزهرة لابن داود، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر، ثم أنشأ يقول:

ومن تكً نزهته قينة
وكأس تحثُّ وكأس تُصب
فنزهتنا واستراحتنا
تلاقي العيون ودرس الكتب

وينـدر في تاريخ حضارات الأمم والشعوب التي نعرفها، أن نعثر على صرعى سقطوا في ساحات المكتبات وميادين الكتاب والعلم، كما هو الأمر في حضارتنا، إذْ يروي التاريخ أن الجاحظ، الذي كان لا يقع كتاب بيده إلاَّ استوفى قراءته، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر، قد مات في حبّ الكتب والمكتبات! حيث روي أنه مات بوقوع مجلدات عليه، وكان من عادته أن يضعها كالحائط محيطة به وهو جالس القرفصاء بينها، وكان عليلاً ومصابًا بالفالج فسقطت فجأة عليه فقتلته. وهو الذي وصف الكتاب وصفاً لم يسبقه إليه ولم يلحقه به أحد.

وقال الفقيه محمد بن الجهم: إذا غشيني النعاس في غير وقت النوم - وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة- تناولت كتابًا من كتب الحكم، فأجد اهتزازي للفوائد، والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز التبيين أشد إيقاظاً من نهيق الحمير وهدَّة الهدم.

وقال أحمد بن إسماعيل: «الكتاب هو السامر الذي لا يبتدئك في حال شغلك، ولا يدعك في حال نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له، والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك».

وقيل لبعض العلماء: «ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك؟ فقال: هي إن خلوت لذتي، وإن اهتممت سلوتي. وإن قلت: «إن زهر البستان، ونور الجنان، يجلوان الأبصار، ويمتعان بحسنهما الألحاظ، فإن

بســـتان الكتب يجلو العقل، ويشحذ الذهن، ويحيي القلب، ويقوي القريحة، ويعين الطبيعة، ويبعث نتائج العقول، ويســـتثير دفائن القلوب، ويمتع في الخلوة، ويؤنس في الوحشة، ويضحك بنوادره، ويَسر بغرائبه، ويفيد ولا يستفيد، ويعطي ولا يأخذ، وتصل لذته إلى القلب، من غير سآمة تدركك ولا شقة تعرض لك».

وكان الخلفاء في بغداد والقاهرة وقرطبة يفاخرون بجمع الكتب. دخل الرشـــيد على المأمون وهو ينظر في كتاب، فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة، فقـــال: «الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه».

ويعد الحاكم المســـتنصر الخليفـــة في الأندلس من أكبر عشـــاق الكتب، فكان يبعث رجالاً إلى جميع بلاد المشرق ليشـــتروا له الكتب عند أول ظهورها. جاء عنه في كتاب سير أعلام النبلاء للحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي: «أنه كان جيد السيرة، وافر الفضيلة، ذا غرام بالمطالعة وتحصيل الكتب النفيسة الكثيرة حقها وباطلها، بحيث إنها قاربت من مائتي ألف سفر، وكان باذلاً للذهب في استجلاب الكتب، ويُعطي من يتجر فيها ما شاء، حتى ضاقت بها خزائنه، لا لذة له في غير ذلك».

وعرف الخليفـــة العزيز في مـــصر بولعه بجمع الكتب، فقد ذكر عنـــده كتاب العين للخليل بن أحمد، فأخرج لهم من مكتبه نيفاً وثلاثين نسخة كاملة منه، منها بخط المؤلف، وحمل إليه رجل نسخة من تاريخ الطبري، اشـــتراها بمائة دينار، فأخرج لهم أكثر من عشرين نسخة منه، إحداها بخط المؤلف، حتى قيل إن مكتبته ضمت أكثر مـــن مليون ونصف المليون مجلد من الكتب.

ومن مزايا الحضارة العربية الإسلامية في هذا الشأن أنها لم تُقـــصر إدخال حب الكتـــب إلى قلوب العلماء وحدهـــم، ولكنها أفلحت في بذر هذا الحب وإشـــاعته لدى الجميع، ومن كلّ الطبقات والمستويات، حتى غدا عشق الكتاب صفة عامة: «من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم». وقد اعترف الكثير من المؤرخين والمستشرقين في الغرب بأصالة الحضارة الإسلامية وتميّزها في التعامل مع الكتاب بوصفه آلة العلم وســـبيل المعرفة والرقي. فحين تصدى المســـتشرق السويسري/الألماني آدم متز أســـتاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل الســـويسرية، لدراسة الحضارة الإســـلامية في القرن الرابع الهجري، لفت نظره شدة حفاوة هذه الحضارة بالكتاب والعلماء والفكر، فقـــال: «.. وكان في كلّ جامع كبير مكتبة، لأنه كان من عادة العلمـــاء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع، وكان الملوك يفاخرون بجمع الكتب حتى كان لكلّ ملك من ملوك الإسلام الثلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد في أواخر القرن الرابع ولعٌ شديد بالكتب».

وتقول المستشرقة والباحثة الألمانية زيجريد هونكة: «لقد أقبل العرب على اقتناء الكتب إقبالا منقطع النظير، يشـــبه إلى حد كبير شغف الناس في عصرنا هذا باقتناء السيارات والثلاجات وأجهزة التلفاز. وكما يقاس ثراء الناس اليوم، بمدى ما يملكون من عربات فاخرة مثلا، قدّر الناس- أي العرب والمسلمون في ذلك العصر الممتد من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر- الثراء بمدى ما يُقتنى من كتب أو مخطوطات، فنمت دور الكتب في كلّ مكان نموّ العشب في الأرض الطيبة، وكان بإمكان أي شخص من الناس اســـتعارة ما يشاء من الكتب، وأن يجلس بقاعات المطالعـــة ليقرأ ما يريد، كما كان المترجمون والمؤلفون يجتمعون في قاعات خُصّصت لهم يتجادلون ويتناقشون كما يحدث اليوم في أرقى الأندية العلمية، إن حب العرب والمســـلمين للكتاب بلغ شأوا لا يكاد يدرك اليوم حتى لدى أكثر الأمم تقدما ونهوضا، وتعلقا بأساليب المعرفة والتثقيف، وهو أمر ثابت، بل هو صفة أقرّها كلّ الدارسين للتاريخ بغضّ النظر عن أديانهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم».

اللغات الإفريقية وتأثرها بالعربية

بقلم: خلف أحمد محمود أبوزيد

الوجود العربي في إفريقيا قديم وعميق الجذور، حيث عُرفت اللغة العربية في بعض أجزاء إفريقيا الشمالية والشرقية قبل الإسلام بسبب المجاورة والقوافل التجارية التي كانت تنطلق من شمال الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا، إلا أن الوجود الواسع ذا الأثر الكبير للغة العربية، قد تشكل مع ظهور الإسلام، حيث كانت إفريقيا أول قارة في العالم تعرفت على الإسلام في العهد النبوي الشريف، واستقرت على أرضها أول جالية إسلامية، هاجرت من مكة المكرمة إلى أرض الحبشة بشرق إفريقيا. ثم انداحت جموع المسلمين بعد ذلك إلى شمال إفريقيا وغربها وشرقها، ناشرة الإسلام بين سكانها.

قامت ممالك إسلامية عدة، في غانا ومالي وصنهاجه وكانم وبرنو، وسكتو، وظهرت مراكز عربية إسلامية نشطة في تمبكتو وجنى وجاوا، وأنشئت المدارس القرآنية والمساجد والزوايا والمعاهد الدينية، لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة. وبذلك تأثرت الشعوب الإفريقية بمختلف قبائلها وأجناسها باللغة العربية، وظهر ذلك في جميع المظاهر الاجتماعية والثقافية واللغوية، حتى غدت اللغة العربية، لغة التخاطب والتدوين والمراسلات الرسمية للممالك الإسلامية في شتى أنحاء القارة، حيث انجذبت هذه اللغات الإفريقية، نحو اللغة العربية، التي ساهمت في إغنائها وتنميتها بأصوات وألفاظ ودلالات جديدة، بل وبتراكيب لم تكن مألوفة من قبل في اللغات الإفريقية.

نلقي الضوء عبر هذه السطور على أهم اللغات الإفريقية التي تأثرت تأثراً واضحاً باللغة العربية.

اللغة الولوفية

تعد اللغة الولوفية أكبر لغة في السنغال، من حيث الاستعمال والانتشار، إلا أنها بدأت تنتشر في بعض الدول الإفريقية الأخرى مثل، غامبيا، وموريتانيا. وتدرس في جامعة شيخ أنت جوب بدكار، وفي بعض المعاهد السنغالية. تركت العربية أثراً قوياً في هذه اللغة، يتمثل في تثبيت البنية النحوية وتهذيبها، وإغناء اللغة الولوفية بالمفردات العربية، التي ساهمت في تنمية طاقتها البلاغية باستعمال المجازات والكنايات، ودخول سلسلة من المصطلحات النحوية

والقانوية والفلسفية والاقتصادية العربية لهذه اللغة، هذا إلى جانب أن ٥٠٪ من مفـــردات اللغة الولوفية، ذات منبت وجذور وأصول عربية، ومن هذه المفردات؛ نودو جاءت من النداء بالعربية، كسارة، من خسارة بالعربية، شوغل، من شغل، سوتره، من سترة، وقت، من وقت، جما، من الجمعة، تأخـــيرو، من التأخير، كليفـــه، من خليفة، دار من الـــدار، أدينا من الدنيا، أسمان من الســـماء، عيب من العيب، جو من الجو. هذا إلى جانب أيام الأسبوع، وكلمات أخرى بمسماها العربي نفســـه، مثل: قلم، ســـاعة، الفجر، الأخبار، وغيرها من الألفاظ والمفردات، التي تدل دلالة واضحة على تأثير اللغة العربية على الولوفية تأثيرًا ملموسًا.

لغة الفولاني

كما تركت اللغة العربية أثراً واضحاً في لغة الفولاني، التي تعد أشـــهر اللغات في غانـــا، وتنتشر أيضاً في السنغال وغامبيا وموريتانيا وغينيا وسيراليون ومالي وبوركينافاســـو وبنين والنيجر ونيجيريا والكمرون وتشاد، وأجزاء متفرقة من جمهورية السودان حتى الحدود الإثيوبية. فقد اســـتعارت هذه اللغة أصواتا

وألفاظـــا ودلالات كثيرة من اللغة العربية، الأمر الذي جعل منها لغة ثرية مواكبة للطفرة الحضارية التي عليها اللغة العربيـــة، حيث دخلت الألفاظ والدلالات العربية إلى لغة الفولاني، برســـمها ودلالاتها نفسها في اللغة العربية، مثل كلمات: أبدا، قرآن، سنة، دين، أمين، فتنة، الجنة. وأيضاً دخل العديد من الأســـماء العربية إلى هـــذه اللغة مثل، موسى، هارون، إبراهيم، بشـــير، مريم، زينب، أمينة، أســـماء، خديجة، كما اقترضت هذه اللغة بعـــض الأصوات العربية التي لا وجود لها في هذه اللغة، وذلك بحكم الحاجة إليها فى ممارسة شـــعائر الدين الإسلامي، من عبادة وغيرها، فأخذت بأصوات: ص، ض، ع، خ، و، ط، وشاعت هذه

الأصوات في كل لغات الشعوب المسلمة في إفريقيا، وإن لم ينطقوا بها على غير نطقها الصحيح.

لغة الهوسا

يتحدث لغة الهوسا نحو ثمانين مليون نسمة، ينتشرون في جل أجزاء غرب إفريقيا، فبحكم التقائها مع اللغة العربية في أسرة لغوية واحدة، هي الأسرة الإفريقية الآسيوية، فبينها وبين اللغة العربية تشابه في جوانب عدة، منها: التذكير والتأنيث. فالظاهرة الغالبة على معظم اللغات الإفريقية، عدم التمييز بين المذكر والمؤنث، فالخطاب الذي يوجه للمذكر هو نفسه الذي يوجه للمؤنث، دون أداة أو إشارة وتفريق بين الاثنين، إلا أن لغة الهوسا تميزت دون غيرها من اللغات الإفريقية في التفريق بين المذكر والمؤنث في خطابها، بمثل ما تميزت به اللغة العربية. ومن مظاهر الاشتراك بين اللغتين، ما نجده في بعض أنظمة صيغ الجموع، منها صيغ جموع التكسير، ففي اللغة العربية نقول مكتب مكاتب، ومدخل مداخل، وبالصيغة والنمط نفسهما تأتي جموع التكسير في لغة الهوسا، فيقال دوكى ـ دواكى أى (حصان، حصين) وأكيا ـ أواكى أي (عنزة ـ ماعز). وفى الاشتقاق نقول في اللغة العربية، درس ـ مدرسة، زرع ـ مزارع، إذ تأخذ هذه الأفعال المنحى نفسه عند الاشتقاق منها في لغة الهوسا. كما أخذت لغة الهوسا ألفاظًا كثيرة من اللغة العربية محتفظة برسمها ودلالتها، مثل كلمات: الله، القرآن، سنة، السلام، وزير، أمير، بيان، أيمان، أول، آمين. هذا إلى جانب عدد من الألفاظ العربية التى دخل عليها بعض التعديل لتناسب لغة الهوسا، مع الاحتفاظ بدلالاتها كما هي، مثل: أسماء أيام الأسبوع، السبت، أسبت، الأحد، لهدى، الاثنين، لتنين، الثلاثاء، تلاتا، الأربعاء لأربا، الخميس، الهميسا، الجمعة، جمأ.

لغة اليوربا

من أكثر اللغات الإفريقية ذيوعاً وانتشاراً. يقدر عدد من يتحدثون بها بنحو عشرين مليون نسمة في نيجيريا، وحوالي نصف مليون نسمة في بنين وتوجو. وتنتشر في غينيا والسنغال وسيراليون وغامبيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر ونيجيريا والكاميرون وتشاد وموريتانيا وغيرها، كما يتم تدريسها أيضاً في بعض الجامعات الإفريقية والأوروبية. ويرجع الباحثون اتصال هذه اللغة باللغة العربية إلى فترة اعتناق قبيلة اليوربا الإسلام في القرن الثالث عشر الميلادي، وأدى ذلك إلى اقتراض لغة اليوربا لألفاظ عربية كثيرة، حيث يرى الباحثون أن نسبة ٥٠٪ من كلمات هذه اللغة ذات أصول عربية. ومن هذه الكلمات في هذه اللغة التي تحمل الدلالات العربية نفسها، ألا، لا، لأجل، الأجل، بيتي، بيت، البنونا، البنون، جنائز، جنازة، هاجو، حاجة، خير، قبر، القبر، فجر، الفجر، رزق، قبلة، الجن، الجنة، وغيرها من المفردات التي تبين عمق اللغة العربية وقوة تأثيرها في هذه اللغة.

اللغة السواحلية

أما عن تأثير اللغة العربية على لغات شرق إفريقيا، فهو تأثير عميق الجذور، تجلى هذا الأثر في أرقى صورة في اللغة السواحلية التي تنتشر من الصومال شمالاً حتى موزمبيق جنوباً، وتتوغل في الداخل حتى تخوم الكنغو ومنطقة البحيرات. ويقدر عدد الناطقين بها على اختلاف مستوياتهم بنحو خمسين مليون نسمة. هذه اللغة تولدت ونتجت من تأثير اللغة العربية على لغة البانتو، فاللغة السواحلية في مجملها، ما هي إلا مزيج من لغة البانتو واللغة العربية، حيث تصل مفردات اللغة العربية بها إلى ٢٣٪، كما أنها لغة مشبعة بالألفاظ العربية وروابطها، فمن الأدوات والروابط العربية التي تستخدم في اللغة السواحلية، إلا، لكن، أما، أو، حتى، كما، بلا، بعد. ومن الألفاظ

العربية في اللغة السواحلية: كتاب، حج، عيب، جبار، حكمة، الله، سنة، حق، محكمة، سوف، تاجر، مال، رخيص، بيع، شراء، عالي. وأيضاً أسماء الأعداد والعقود التي تنطق باللغة العربية.

القرن الإفريقي

وفى القرن الإفريقي تنتشر اللغة الصومالية، لتغطي ما كان يعرف بالصومال الكبير. وبحكم وجود هذه اللغة مع اللغة العربية في الأسرة الكبيرة الإفريقية الآسيوية، فهناك اشتراك بينهما في بعض الأصوات، التي تميزت بها اللغة العربية دون غيرها، والتي لا وجود لها في اللغات الإفريقية، وهى: ص، ح، خ، ق.

ومن أوجه الاتفاق بين اللغتين ما نجده في ضمير المتكلم في جميع الأوجه، وضمير الغائب سواءً كان مذكراً أم مؤنثاً. هذا إلى جانب المستوى المعجمي، فقد أخذت اللغة الصومالية مفردات كثيرة من اللغة العربية، سواءً أكان ذلك من العربية القديمة كمفردات الدين أو العربية المعاصرة كمفردات الحياة اليومية، منها مفردات احتفظت بشكلها الكتابي والدلالي، من ذلك سفن، يابس، كبر، فأل، نسب، أهل، عريش، فرح، سفر، حرير، بأس، قياس، مهر، برق، درع، بخت، وألفاظ أخرى تغير شكلها الكتابي، ولم تتغير دلالاتها.

وإذا ما توغلنا ناحية إثيوبيا، فنجد أن اللغات الإثيوبية المحلية من أمهرية وأرومية قد أخذت الكثير من الألفاظ العربية، حيث كانت اللغة العربية ولا تزال لغة تراث وحضارة، كما أن كل من الأمهرية والأرومية تتصل باللغة العربية من حيث الأصل الكبير. وأن هذا الأثر لم يقتصر على مسلمي إثيوبيا فحسب، بل تعداهم إلى المسيحيين، وذلك من خلال ترجمة الكنيسة المصرية للكتب الدينية ونقلها من العربية إلى الجعزية أو الأمهرية، وما حوته من قصص للسيد المسيح عليه السلام والعذراء مريم وقصص الرسل والأنبياء.

الأدب والثقافة

ولم يقتصر هذا الأثر للُّغة العربية على اللغات الإفريقية على جانب اللغة فقط، بل تعداها إلى مجال الأدب والثقافة، حيث توجهت ثقافات الشعوب الإفريقية نحو الثقافة العربية، وقد ظهر هذا الأمر واضحًا في الشعر والنثر، من المسلمين وغير المسلمين، فمنهم من عبر عن هذه الثقافة في شعره أو نثره، الذي كتبه بلغته الإفريقية مستخدماً الحرف العربي، فعلى سبيل المثال، تأثرت لغة الهوسا بالثقافة العربية، فأنشد شعراؤها قصائد على نهج القصائد العربية قافية ووزناً، بل إن القصيدة الهوسية، قد استخدمت تسعة من الأوزان الشعرية العربية هي: البسيط، والطويل، والكامل، والخفيف، والمتدارك، والرجز، والسريع، والوافر. كما امتد هذا الأثر أيضاً إلى النثر الهوسي الذي يبدأ بمقدمة، وينتهي في جلّه بالتحميد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المصادر

• الأثر العربي في اللغات والثقافة الإفريقية، د.بابكر حسن محمد قدرماري، دراسات دعوية، العدد ٣٩.

• اللغات في إفريقيا، مقدمة تاريخية، بروفيسور يوسف الخليفة أبوبكر، الناشر دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة، الخرطوم.

• المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق إفريقيا، سيد حامد حريز، الناشر دار الجيل بيروت عام ١٩٩٨م.

• العربية في اللغات الإفريقية، أحمد العايد، المنظمة العربية للثقافة والعلوم.

• أثر اللغة العربية في اللغات الإفريقية (اللغات السنغالية نموذجاً) د.محمد المختار جيى، مجلة قراءات إفريقية.

وقت المبادرات

د. عبدالله الشيعاني

يمر العالم اليوم بأسوأ أزمة اقتصادية، حيث نشاهد في القنوات الفضائية لقطات مؤلمة لصفوف من الناس ينتظرون دورهم من أجل الحصول على احتياجاتهم الأساسية من الطعام والشراب، ونحن بفضل من الله لا نشاهد مثل هذه الحالات في بلادنا، فالخير ولله الحمد كثير، والدولة وفرت المخزون من كل الاحتياجات حتى نهاية هذه الجائحة قريباً بإذن الله.

في هذا الوقت لا بد أن تظهر على الساحة المبادرات الإنسانية، فنحن أمة الخيرية، فكم ممن هم حولنا لا يجدون بسبب إيقافهم عن العمل أي مصدر للدخل، وقد يبيت الواحد منهم وهو لا يجد ما يسكت جوع أبنائه، وعلينا كمجتمع واحد أن ننفق مما حبانا الله به ولو بجزء يسير نخصصه لهم. هذه المبادرات يجب أن تكون تحت مظلة رسمية، صحيح أن هناك مبادرات شبابية، ولكنها فردية، وقد تستهدف حياً واحداً، أو مجموعة صغيرة. نريد أن تكون هذه المبادرات من خلال مراكز الأحياء، أو الجمعيات الخيرية، أو الغرف التجارية، حتى يستطيع الشخص وهو جالس في بيته أن يرسل إلى رقم الحساب ما تجود به نفسه من قليل أو كثير.

كما أشيد بما قام به سمو أمير منطقة مكة المكرمة، الأمير خالد الفيصل، حينما أطلق حملة خيرية بعنوان: (براً بمكة)، وتهدف إلى مد يد العون للأسر المنتجة، وأصحاب الأعمال الميدانية المتأثرة بفترة منع التجول، وذوي الاحتياجات الخاصة. كما أنوه بالمبادرة الفريدة من نوعها لوزارة الأوقاف المصرية، حينما أعلن الدكتور محمد مختار جمعة في مداخلة له مع الأستاذ عمرو أديب بأن الوزارة لن ترسل بعثة حج على نفقتها هذا العام إلى الأراضي المقدسة، وستوجه تكاليف الحج إلى حماية ورعاية المتضررين من فيروس كورونا، وتوجيهه دعوة إلى رجال الأعمال والمقتدرين إلى صرف تكاليف العمرة على الفقراء والمحتاجين.

لقد تداولت مواقع التواصل الاجتماعي صوراً لنماذج مختلفة ومشرفة نقف لها احتراماً وتقديراً في كل أنحاء الوطن العربي الكبير، سواء من أصحاب المتاجر، أو الصيدليات، أو الأطباء، وهم الجنود المجهولون في هذه الأزمة، وكم أتمنى من حكوماتنا بعد زوال الأزمة قريباً، بإذن الله، أن تمنح الكادر الطبي أوسمة خاصة، لما بذلوه من جهد ووقت من أجل انحسار المرض، والذود دون تفشيه في المجتمع.

وحق وواجب عليَّ في هذه الأزمة أن أشكر المواطن الواعي الذي استجاب للدعوات ببقائه في بيته، حفاظاً على أسرته ومجتمعه، ووزارة الصحة التي تحارب جاهدة من أجل صحتنا، ووسائل الإعلام التي تعاملت مع الحدث بشفافية عالية لتوعيتنا، ورجال الأمن الذين يسهرون من أجل راحتنا، وكل القطاعات الحكومية والأهلية التي تعمل كالجسد الواحد لحماية أوطاننا.

من الفن الإسلامي